عرفه عبده علي

ليلي كوهين في دمشق

وحكايات أقنعة من ملفات الحرب الصامتة

فهرس الموضوعات

	ص
تقديم	
البداية كانت من مصر	٤
الجاسوس الساحر ..!	٣٤
ذكريات من الاسكندرية	٤٣
مولد جاسوس !	٤٧
كوهين فى دمشق	٧٦
لعبة الشطرنج المعقدة !	١٠٨
حكايات أقنعة :	١٢٠
شمويل باروخ / الأب يواقيم / الجاسوس وعشيقته / جاسوس الشمبانيا	
نهاية عميل سرى	١٤٥
شهادة اللواء صلاح الدالى	١٤٩

تقـديــم :

عقـــب توقيع معاهدة كامب دافيد مباشرة ٠٠ انتحى الإرهابي السابق ورئيس الحكومة الإسرائيلية " مناحم بيجين " بالرئيس الراحل " أنور السادات " و طلب منه توقيع بروتوكول خاص بين جهاز الاستخبارات المصرية و " الموساد " الإسرائيلي من أجل التعاون وتبادل المعلومات والتنسيق ضد " الخطر والعدو المشترك " ! ٠٠ وتناقل الدبلوماسيون المصريون تلك الواقعة ٠٠ وخرجت الصحف الإسرائيلية تبشر بهذا الاتفاق !

وخــلال إحدى زيارات بيجين لمصر ، طلب مرة أخرى أن يتوقف أي نشاط استخباراتي بين الدولتين ، و تقدم بفكرة تجسد هذا التعاون ، حيث طلب أن تسلم مصر لإسرائيل ملفات من كانوا يعملون لصالح الاستخبارات المصرية في فلسطين المحتلة ، على أن ترسل إسرائيل ملفات عملائها في مصر ، و أبدى السادات موافقة مبدئية ! ٠٠ غير أن رجال الاستخبارات المصرية بادروا بإحراق هذه الملفات !

ومـــن المعروف أن " الموساد " الإسرائيلي يوجه عملياته إلي الدول العربية عامة ، ولدول الجوار خاصة ، و تعتبر " مصر " بالنسبة للموساد هي " العدو الأول " و تحرص كافة فروعه على جمع المعلومات في المجالات العسكرية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ، واستخدامها ضد مصر في حالات السلم أو الحرب على السواء ، و تشير التقارير إلي ضبط أكثر من ثلاثة وخمسين شبكة تجسس إسرائيلية في مصر خلال حقبة " السلام " !

ومـــــن قبل إعلان قيام الدولة الصهيونية ، كانت الفروع المختلفة للاستخبارات اليهودية وعلى رأسها : " شاي – Shai " و " شين بيت – Shin Beth " و " علياء بيت – Alyah Beth " إلي جانب " الوكالة اليهودية " ٠٠ تركز نشاطها في مجالات التجسس على مصر إضافة إلي نشاطها في الدعاية للأهداف الصهيونية وإقناع اليهود المصريين بالهجرة إلي فلسطين ٠٠ ومنذ الإعلان عن قيام " الدولة اليهودية " لم تتوقف عمليات زرع الجواسيس في دول الجوار ، خاصة مصر وسوريا ٠٠ وأصبح جهاز الموساد الإسرائيلي يتمتع بشهرة عالمية ، حيث واكبت بعض عملياته نوع من " البروباجندا " أو الدعاية الإعلامية الموجهة !

وبالرغم من اهتمام " الموساد " اهتماماً بالغاً بأمنه الداخلي ، إلا أن ذلك لا يعني أنه محصن ضد الاختراق الأمني ، و هم يذكرون تماماً قصة د. " إسرائيل بيير " الذي كان نبأ القبض عليه بتهمة التجسس بمثابة صدمة هائلة للرأي العام الإسرائيلي !

كـــان إسرائيل بيير نائباً لرئيس الاستخبارات العسكرية " أمان " ومستشاراً لشئون الأمن القومي لدافيد بن جوريون – رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك – و كانت عشيقة بيير " ديانا ذهابي " قد قدمت عرضاً سخياً بالتعاون بإخلاص مع المصريين ، وفي يناير عام ١٩٥٧ ، و بعد الوثوق بها بدأ إغداق الأموال على د. بيير بحجة إعادة طبع كتابه " الشرق الأوسط بين الشرق و الغرب " الذي ابتاعت الاستخبارات المصرية كل النسخ المعروضة منه ! وكان المقابل أن أمدت " ديانا " الاستخبارات المصرية بأكثر من أربعمائة وثيقة تضمنت تنظيم وزارة الدفاع الإسرائيلية ، خطط تسليح الجيش الإسرائيلي ، بيانات عن عدد الألوية المدرعة والوحدات الملحقة بها ، مخزون الذخائر ، الخطط الخاصة بتنظيم التعاون بين القوات البرية والجوية ، وقوائم مفصلة بأسماء كبار الضباط و القادة و مقار إقامتهم !

وأسهـــم هذا " السيل المنهمر " في إطلاع أجهزة الاستخبارات المصرية ، أولاً بأول ، على محاضـــر اجتماعات القيادة الإسرائيلية العليا ، و لم يساور الموساد أدنى شك في بيير ، حتى وصلتهم معلومات مؤكدة من وكالة الاستخبارات المركزية C.I.A وألقي القبض عليه في إبريل ١٩٦٢ وحكم عليه بالسجن عشر سنوات ، بعد محاكمة سرية ، غير أنه توفى بالسجن في نفس العام ٠

وإذا كانت قصة " رفعت الجمال " تمثل نموذجاً لأنجح عملية زرع جاسوس في قلب إسرائيل ٠٠ فإن قصة " إيلي كوهين " هي واحدة من أغرب قصص الجاسوسية و أكثرها إثارة وهي في حقيقتها فضيحة و كارثة حلت بالنظام السوري منذ أكثر من أربعين عاماً ٠٠ ذلك الرجل الذي لقب بـ " نجم الموساد " و الذي نجح في إختراق السلطة الحاكمة في سوريا آنذاك ، وأن يكون واحداً من رجالها وصديقاً شخصياً للجنرال " أمين الحافظ " رئيس الجمهورية وعدد من أبرز الشخصيات السورية ٠٠ إنه " رفعت الجمال " على الطريقة الإسرائيلية ، لكن مع فارق واحد ، أن رفعت الجمال لم يكشف وظل – حتى دفن في مصر – نموذجاً للعمل السري المثالي !

وهنـــاك أكثر من رواية لكشفه ٠٠ أولها أن أحد رجال الاستخبارات المصرية قد تعرف عليه من صورة نشرت له على الجبهة السورية ، ضمن الوفد المرافق للفريق أول " علي علي عامر " وكان كوهين المدني الوحيد في الصورة ، وعرف المصريون من ملفاتهم القديمة أنه "إيلـــي كوهين " ٠

والثانية و هي الأكثر شيوعاً ، تؤكد أن القبض عليه جرى بعد أن اشتكت السفارة الهندية القريبة من بيته من التشويش على إرسالها فطلبت المخابرات السورية من السوفيت أن يبيعوا لها جهازاً خاصاً يتعقب التشويش ٠٠ وبعد وصول الجهاز جرى إطفاء النور عن الحي **فلم** تبق سوى الإشارات التي يرسلها جهاز إيلي كوهين ، و كان لحسن الحظ يعمل بالبطارية و ليس بالكهرباء ٠٠ وصعدت مجموعة للقبض عليه برئاسة الكولونيل أحمد سويداني لتضبطه متلبساً وهو يرسل تقريره بعد حفل صاخب **حضره** بعض المسئولين ٠٠ وبجوار جهاز الإرسال كان التقرير المكتب بخط يده !

واستمـرت محاكمته عدة شهور ، بذلت خلالها إسرائيل جهوداً مضنية ومارست ضغوطاً شتى من أجل الإفراج عنه ٠٠ وسارع النظام السوري بإعدامه لتطوي صفحته و معه أسرار رهيبة تتعلق بأصدقائه من السوريين !

وفـــي الساعة الثالثة و النصف من فجر يوم الثامن عشر من مايو عام ١٩٦٥ خرج موكب إعدام إيلي كوهين من سجن " المزة " في حراسة مشددة إلي قلب دمشق حيث يقف عمود الشنق منذ سنوات طويلة ، و يتسلمه جلاد سوريا " أبو سليم " الذي كان في انتظاره ، و خلال ٩٠ ثانية نفذ فيه حكم الإعدام شنقاً باسم " الشعب العربي السوري " ٠٠ و لكن ما يزال الفصل الأخير مفتوحاً ٠٠ حيث تحاول أرملته " نادية كوهين " و الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة : الحصـــول على رفاته و دفنها في إسرائيل ٠٠ " ورقة سياسية هامة في يد النظام السوري الحالي " !

البداية .. كانت من مصر

أثنـــــاء الاحـتلال البريطـاني لمـصر نـشطت الوكالـة اليهوديـة فـي الدعايـة للأهـداف الـصهيونية وإقنـاع اليهـود المـصريين بـالهجرة إلـي فلسطين و أنـشأت منظمـة " إيليـا بيـث " التـي تتـولى تهريـب المهـاجرين اليهـود الجـدد إلـي فلـسطين مـن وراء ظهـر الـسلطات البريطـانيـة فرعـاً مصرياً بها يختص بتهجير اليهود المصريين وكان هذا التنظيم يستخدم السفن و عربـات النقل بـل وحتى الجمال في تنفيذ عمليات التهريب ، وفي عام ١٩٤٤ قرر رؤسـاء جهـاز المخـابرات التابعـة للهاجاناه ، كبرى المنظمات الصهيونية في فلسطين أنـه قد آن الأوان لتوسيع شبكتهم فـي مصـر ، وما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى برزت أهمية مصر أكثر ، فقد تزايد الشعور المناهض لليهود في مصر نتيجة للحركة الوطنيـة المصرية وإحساس المصريين بقضية فلسطين العربية ، وأصبح الأمر يستلزم المسارعة بإخراج اليهود منها ، ومن ناحية أخرى كـان زعمـــاء " الهاجاناه " يتوقون للاستيلاء على المخزن الاحتيـاطي من أسلحة الحلفاء المكدسـة فـي مصـر ، وعموماً كانوا يريدون الحصول على كافـة أنـواع المعلومـات نظـراً لأن القـاهرة كانـت مقـراً لقيـادة الإنجليز في الشرق الأوسط ، و من ثم فهـي أفضل مكـان لمعرفـة الخطـط التـي يضعها الإنجليز إزاء المنطقة : ما هي وجهات نظرهم إزاء إنشاء دولة يهودية في فلسطين ؟ ومـا الـذي سيفعلونه حال قيام هذه الدولة ؟ لكل هذه الأسباب أبرزت القاهرة كمركز بالغ الجذب للمخـابرات اليهوديـة ، وكـان الرجل الـذي وقـع عليـه الاختيـار لتنظيم و تنفيذ العمليـة الموسـعة واحـداً مـن كبـار العمـلاء يـدعى" ليفـي إبراهـام" الفلسطيني المولـد ، وقـد أرسـل إلـي مصـر فـي ربيـع عـام ١٩٤٤ متخفيـاً فـي شخصية ضابط بريطاني ، عندما وصل ليفي إبراهام إلي مصر كان أول مكان قام بزيارتـه منزل إحدى عضوات المجتمع المصري البارزات و تدعى " يولندا جابي " و هي من أسرة موسـرة مـن يهود الإسكندرية ٠ وقد عاشت يولندا فترة في باريس و اكتسبت بعض العادات الغربية ، و عنـدما عادت إلي مصر احتلت مكانها بسرعة في صفوف المجتمع الأرستقراطي الـذي كـان يـضم خليطـاً من نبلاء البيت المالك ، و الضباط البريطانيين ، و الباشوات المصريين ٠

(')

ولـــــم تكن يولندا جابي صهيونية ، و لكن حياة التجسس كانت تستهويها بما فيها من غموض وإثارة و أموال و أضواء ، وكان أكثر ما يهم ليفي فيها ما تمتع به من اتصالات لا حصر لها بكبار الشخصيات العسكرية و السياسية في مصر ·

وعلــــى وجه السرعة استأجر الإثنان فيلا في إحدى ضواحي الإسكندرية الأنيقـة لتكـون قاعدة لعلميات التهريب و التجسس ولكنها في الظاهر مكاناً للترفيه عن جنـــود الحلفــــــاء ·

وكالـة جرونبيرج للسفريات :-

كــــان ليفي إبراهام هو العقل المدبر للعمليات تساعده يولندا بشبكة معارفها الواسعة ، ولكن كان لابد من إيجاد شخص يقوم بعملية التنفيذ بما في ذلك تقديم كافة التسهيلات اللازمة لتسفير اليهود الراغبين في مغادرة مصر ، و الذين بدأت أعدادهم تتزايد بإطراد وبشيء من التوفيق استطاعا الحصول على الشخص المناسب ، كان شاباً يهودياً مصرياً " ابن بلد " يدعى إيلي كوهين ، تولى إدارة " وكالة جرونبيرج للسفريات " التي أنشأها الموساد في القاهرة كغطاء لتهريب آلاف اليهود المصريين إلي فلسطين عبر الشبكة السرية التي يديرها ليفي ويولندا ، واستطاع إيلي كوهين بما لديه من مواهب متعددة وإتقانه لعدة لغات أن يطوي تحت جناحه عشرات المسئولين في السفارات الأجنبية و السلطات المصرية ، وما يقدمه لهم من رشاوي وخدمات فأمدوه بما يطلب من وثائق وتأشيرات و غضوا الطرف عن مراقبته أثناء عمليات التهريب ، بل أصبح لا يلي العديد من الأصدقاء المصريين ذوي النفوذ نتيجة لمؤانسته لهم في النوادي الليلية في القاهرة و الإسكندرية حيث كان ينفق ببذخ و يلتف حوله دائماً كوكبة من أجمل الفتيات !

وقـــــد أدى قيام دولة إسرائيل في ١٤ مـايو عـام ١٩٤٨ إلي المزيد من المتاعب لليهود فـي مصـر ، و نـشطت بـذلك الجهود المبذولـة فـي عمليـة الهجـرة عن طريـق " وكالـة جرونبيـرج للسفريات " وغيرها من الإمكانيات المتاحة ، حتى لم يبق من الـ ٧٠ ألف يهودي الذين ظلوا يعيشون في مصر حتى بداية الحرب في عام ١٩٤٨ سوى الثلث في عام ١٩٥١ م ٠

التدريب على التخابر والتدمير :-

انتهـــت أيام ليفي إبراهام و يولندا جابي فاختفيا من مصر دون أثر و فـي عـام ١٩٥١ وصـل إلـي مـصر أحد كبـار العمـلاء الإسـرائيليين لـيملأ فراغهمـا ، ويباشـر عمليـات التجـسس والهجرة و غيرها من المهام ، و كان يدعى " إبراهام دار " و لكنه كان يعمل تحت أسم مستعار هو " جون دارلنج " ويتخفى تحت جواز سفره البريطاني إذ كان أصلاً من اليهود البريطانيين ٠

ولكـــــن دارلـنج لـم يكتـف بعمليـات الهجـرة و التخـابر ، و إنمـا بـدأ مـشروعاً آخـر أكثـر طموحاً هو تجنيد الشبان المثـاليين مـن اليهود المـصريين استعداداً للقيام بمـا قد يطلـب مـنهم مـن أعمـــال خطيـرة ٠

وبطبيعــة الحال كان من أوائل هؤلاء المجندين " إيلي كوهين " الذي كـان صـهيونياً حتـى النخـاع ، و كذلك واحدة من بطـلات الرياضـة فـي الأولمبيـاد تـدعى " مارسيل نينـو " وتبلـغ مـن العمر ٢٤ عاماً ، و كانـت علـى علاقـة وديـة مـع بعض ضباط الجيش المصري في أواخر حكم الملك فاروق ، حيث كانت تقابلهم في الحفلات التي يقيمها أصدقائها الأثرياء ، أرسلها إيلـي كـوهين مع غيره من الشبان المجندين إلي إسرائيل حيث تلقوا تدريبات عملية في أساليب التخابر والتدمير وبقوا هناك ثلاث شهور في تـدريب و دراسـة متواصلة لا يرون فيهـا سـوى معلمـيهم و مـوجهيهم فقط ، ثم أعيدوا إلي مصر مرة أخرى ، وعندما عادوا إلـي مصـر عملوا تحت رئاسـة أحد العمـلاء المحنكين ويدعى الكابتن " ماكس بنيت " ولكن المصريين كانوا يعرفونه بإسم " اميل و ايثبان " وكان له

متجر كبير لبيع الأطراف الصناعية و كان يبيع كميات كبيرة منها للجيش المصري ، ويتردد عليه كثير من الضباط المصريين الذين عقدوا معه علاقات ود وصداقة نظراً لما لمسوه فيه من إنسانية و إهتمام بالغ بجرحى الحرب!.. هؤلاء كانوا يتبسطون معه في الحديث دون أن يدركوا أن صديقهم هذا ينقل كل ما يقولونه مباشرة إلي مقر قيادة الموساد في تل أبيب !

وفـــــي الوقت الذي كـــان بنيـــث ورفاقه يتلقون بين الحين و الآخر التهاني من قيادة الموساد على ما يبعثون به من معلومات ثمينـــة ، سببت تغييرات سياسية مفاجئة في مصر – بطريق غير مباشر – في إنهاء عمليات التجسس الناجحة التي يقومون بها ، بل والوصول إلي نهاية مؤلمة !

نسف المصالح الأجنبيــة :-

ففـــــي يوليو من عام ١٩٥٢ قاد اللواء محمد نجيب إنقلاباً عسكرياً ناجحاً أطاح بالملك فاروق ، وألغى الملكية وأعلن النظام الجمهوري في مصر ، وبدأت الحكومة المصرية الجديدة وفي الحال سياسة التشدد في مواجهة إسرائيل ، فأخذت تضيق الخناق على النشاط اليهودي في مصر ، و تساعد العمليات الفدائية ضد إسرائيل ، وتفرض حصاراً في قناة السويس على السفن القادمة أو الذاهبة إلي إسرائيل .

وفـــــي الوقت نفسه بدأت تطورات على المسرح الدولي تزيد الإسرائيليين قلقاً فبعد أن أطاح البكباشي جمال عبد الناصر باللواء نجيب في شتاء ١٩٥٤ بدأت الحكومتان الأمريكية والبريطانية بتوددان إلي مصر ، فوافقت بريطانيا على سحب قواتها من قناة السويس ومعنى هذا أن الحصار المفروض على الملاحة الإسرائيلية في القناة سيكون حصاراً كاملاً لا يقبل التحدي ، كما وافقت الحكومة البريطانية على تزويد السلاح الجوي بطائرات جديدة ، أما في الولايات المتحدة فقد كان "جون فوستر دالاس" وزير الخارجية الأمريكية يحث الرئيس إيزنهاور على إنتهاج سياسة موالية للعرب ، وقام دالاس شخصياً بزيارة القاهرة و الاجتماع بقادة الثورة المصرية .

( )

كـــــان يرأس المخابرات العسكرية الإسرائيلية في ذلك الوقت – وهي غير المخابرات العامة أو الموساد – ضابط يدعى الكولونيل " بنيامين جلبي " الذي إقتنع بأن التطورات الجديدة في علاقات مصر مع الدول الغربية تعرض إسرائيل لخطر داهم ، ورأى أن أسلوب التجسس والتخابر الهادىء لم يجدي في مواجهة هذا الخطر ، وقرر أن يتخذ إجراء مباشر لمواجهة هذا الوضع الجديد ٠

كـانـــت خطته بسيطة وقاسية و تفتقر تماماً إلي الشرعية ٠٠ أن يستغل رجال الموساد في مصر في عمليات تدمير للمنشآت الأمريكية والبريطانية في القاهرة والإسكندرية ٠٠ وبالطبع سوف تنسب هذه العمليات إلي الشيوعيين أو الإخوان المسلمين ، وبالتالي يتولد في كل من واشنطن ولندن شعور مناهض للمصريين ٠

وأســـر إلي كل من " موردخاي بن زور " و عميل آخر يدعى " بول فرانك " وهما ضابطان سابقان في قوة الدفاع الإسرائيلية – القيام بهذه العملية ، و كان فرنك يعمل في مصر متخفياً في شخصية ضابط سابق في قوات العاصفة النازية ، وقد مثل هذا الدور بنجاح لدرجة أنه كون صداقات وطيدة مع بعض كبار المصريين ومنهم قائد البحرية و وزير الداخلية كما استطاع أن يكسب ثقة النازيين السابقين الذين يعيشون في مصر ويعملون كمستشارين للحكومة المصرية ولكن عندما أخبر فرانك أعضاء فريقه من اليهود المصريين الشبان عن المهمة المكلف بها ، واجه في باديء الأمر معارضة شديدة من جانبهم ، فقد كانوا يهوداً ومصريين في نفس الوقت ، وكانت فكرة قتل أبناء بلدهم بلا تمييز تثير غضبهم كما كانوا يخشون أن تكون لهذه العملية ردود فعل سياسية في إسرائيل ٠

غيـــر أن الكولونيل بنيامين جلبي في مكتبه بتل أبيب لم يتزحزح عن موقفه ، وصمم على تنفيذ خطته ، و أمام هذه الأوامر الحازمة لم يجد أعضاء الشبكة بدا من تنفيذ العملية ، فبدأ عدد من الشبان و الشابات اليهود يزرعون القنابل و الألغام في عديد من المنشآت ، ومنها مكتبتا

هيئة الاستعلامات الأمريكية في القاهرة و الإسكندرية ، و عدة مطاعم في وسط المدينتين ، كما انفجرت عدة طرود ناسفة في مكتب البريد العام كانت في طريقها إلي ضحاياها عن طريق البريـــد – وأحدثت هذه الانفجارات حالة من الذعر العام في مصر ، و علاوة عما سببته من قلق بالغ لدى الحكومة المصرية ٠

ولكـــــن العملية التخريبية لم تكن متقنة بما فيه الكفاية ، وسواء كان ذلك لسبب عدم اقتناع الشبان اليهود بشرعية العملية أو عدم وجود خبرة كافية لديهم في أعمال التخريب فقد أرتكب هذا الفريق من اليهود المصريين خطأ جسيم أدى إلي سقوطهم !

السقـوط الكبيــر :-

هـــــي واحدة من أكبر سقطات الموساد ، لكنها تدور أحداثها كما في رواية بوليسية من الدرجة الثالثة ٠

الزمـــان : الساعة السابعة في مساء يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٤ م ٠

المكـــان : مدينة الإسكندرية

كـــــان ضابط البوليس المصري " زكي المناوي " في دوريته المعتادة حين سمع صرخة ورأى شاباً يندفع من مدخل سينما " ريــو " إلي الخلاء ، وقد شبت النار في سترته ، حاول الشاب إطفاء النيران دون جدوى ، فما كان من الضابط إلا أن رمى بنفسه فوق الشاب و ظل يمرغه بالتراب إلي أن انطفأت النار نهائياً ٠

ســـــار كل شيء على ما يرام ، و كانت الحروق في جسم الشاب بسيطة ، وساعده الضابط ليقف و يرتب ملا بسه و شكله ، ولكن ، بينما كان الضابط يناوله " جراب " نظراته الذي وقع من السترة ، نصف المحترقة ، وقع على الأرض و انتثر منه مسحوق أسود اللون ، ودهش رجل البوليس لحظة ، ثم انحنى وشم المسحوق ، وكان " مسحوق الفوسفات " ٠

( )

وفكـــــر الضابط بسرعة ، فهناك مجموعة مجهولة من مشعلي الحرائق أثارت الرعب فـي المدن المصرية منذ أسابيع ، و كثيراً ما كان سبب الحرائق هو : " الفوسفات " وكانت العمليات تشكل لغزاً أمام البوليس المصري : فقد تشتغل قنبلة في صندوق بريد ، أو يشتغل حريق في دار سينما أو في مكتبة عامة ، وتوصل البوليس إلي أن الجرائم كلها ليست موجهة إلي أفراد معينين ، و إنما يقصد بها " أشياء " معينة ، و هذه " الأشياء " موجودة دائماً في الممتلكات الأمريكية أو البريطانية ، ولذلك كان أغلب ظن البوليس أن مشعلي الحرائق إما شيوعيون أو من الأخوان المسلمين ٠٠ وكانت سينما ريو من أملاك رجل أمريكي ولذلك فقد ثارت الشكوك في نفس الضابط المصري ، حين حاول الشاب أن ينفض التراب عن ملابسه متعللاً بأنه في حالة حسنة ، و أنه لم يفقد شيئاً ، وقال بسرعة ، أن والده طبيب وسيعالج حروقه ، لكن الضابط لم يتركه ، بل ذهب إلي أقرب قسم للشرطة ٠

وسرعـان ما اتضح أن الضابط قد عثر على عملية كبيرة ، فالشاب الذي حاول إشعال النار في السينما يدعى " فيليب ناتانسون " و هو مولود في الإسكندرية من أبوين يهوديين ثريين من فيينا ، و عمره لا يتجاوز التاسعة عشرة عاماً ، ويتبع " منظمة الشبيبة الصهيونية " و أثناء تفتيش منزله عثر البوليس على رسائل وصور ، واعترف الشاب أنه ينتمي إلي " جماعة تخريبية" وأنه مكلف بإشعال النار في سينما " ريو " ولكن النار سبقته ٠٠ وتحت الضرب اعترف الشاب بأكثر من ذلك أعترف بأنه ينتمي إلي جماعة عملاء إسرائيليين تتلقى أوامرها من المقر الرئيسي في تل أبيب و مهمتها : القيام بعمليات " إرهابية " !

وفـــــي ليلة ٢٣ يوليو صدر الأمر بإلقاء القبض على هذه الجماعة في مصر ، بتعاون البوليس في القاهرة والإسكندرية ٠ و تم القبض فعلاً في الساعة الرابعة صباحاً على " فيكتور ليڤي " و " روبرت داسا " و حتى أول أغسطس كان أحد عشر عضواً في المنظمة قد وقعوا في أيدي البوليس المصري ٠

وفـــــي ١١ ديسمبر عام ١٩٥٤ بدأت محاكمة الجواسيس ، وفي اليوم التالي وصف رئيس الوزراء الإسرائيلي " موشي شاريت " المحاكمة بأنها " مسرحية هزلية " وهي " ستار دنيء قذر لإجلاء اليهود عن مصر " !

وكـــــان " شاريت " غاضباً بحق ، فقد كان يعتقد أن المصريين قاموا بتزوير الأدلة التي تدين المتهمين اليهود ٠٠ لكن رئيس الحكومة الإسرائيلية لم يكن يعلم أن المخابرات الإسرائيلية أرادت نشر الإرهاب في مصر ، وبكلمة أدق ٠٠ أن قسما من المخابرات و هو " أمـان " أو المخابرات العسكرية هو الذي قام بذلك ، و حتى رئيس الموساد نفسه " عيزر هاريل " لم يكن يعلم عن نشاط " أمـان " المستقل شيئاً واتسع نطاق العملية ليصبح " فضيحة " مازالت تصم إسرائيل حتى الآن !

فهـــــي ليست مجرد عملية شاملة فاشلة ، كما يحدث لكل أجهزة المخابرات في العالم .. وليس خطأ في التنفيذ ، بحيث يمكن للمرء بعده أن يتابع نظامه اليومي المعتاد ، بل هي كارثة قومية ٠٠ وقد كتب أحد الصحفيين الإسرائيليين مرة بأنها " خطيئة متوارثة " قامت بها الدولة اليهودية حين نشرت عمليات الإرهاب في مصر ، وقال " أن إسرائيل فقدت بها براءتها إلي الأبد" وأدرك السياسيون في إسرائيل ، إلي أين يمكن أن يدفع جهاز المخابرات السرية ، الدولة، إذا لم تحكم عليه الرقابة !

اعترافات " روبرت داسا " :-

أعتــــرف " روبرت داسا " الجاسوس السابق و الذي مكث أربعة عشر عاماً في السجون المصرية بأنها " كانت فكرة مجنونة و لكننا صدقناها " !

( )

يعيـــش روبرت داسا حالياً بضاحية " بتاح تكفاه " بتل أبيب ٠٠ يحتفظ بألبومين للصور عن حياته بالإسكندرية ومع زملائه في المدرسة و في السجن ، وخلال تدريبه على لعبة كرة السلة بسجن " طره " بالقاهرة ٠٠ و حالياً يكتب الأخبار باللغة العربية في التليفزيون الإسرائيلـــي ٠٠

ولــــــد " روبرت داسا " عام ١٩٣٢ في الإسكندرية ٠ وكان الأبن الثالث (بين خمسة أبناء) لأب تاجر في المدينة ، و كان والده قد ولد أيضاً في الإسكندرية ، حيث هاجرت أسرته من اليمن إلي فلسطين ، واستوطنت في مصر ، أما والدته فقد ولدت في القدس وأتت إلي الإسكندرية أثناء الحرب العالمية الأولى ٠٠ وكان والداه يملكان دكاناً صغيراً للخردوات في الحي القديم في المدينة ٠

كبـــــر " روبرت " في بلد عربي و تعلم اللغة العربية ، لكن معظم زملائه المقربين إليه كانوا أولاد يهود ٠٠ وكان عدد اليهود في " الحي اليهودي " في الإسكندرية يصل إلي حوالي ٨٠ ألف يهودي ، وكان ذلك في الأربعينات ، وكان يسمح لهذه الأقلية بكل شيء ٠٠ فكان اليهود يبنون أديرتهم و يقيمون طقوسهم فيها ، و كان يسمح لهم باللقاء في نواديهم و كان المصريون يتكلمون عن هؤلاء الأغراب في بلادهم بشيء من الاحترام ، و كانوا يلقبونهم " بالخواجات " !

لكـــــن هؤلاء " الخواجات " كان لهم أحلامهم ، و هي إسرائيل ، دولة اليهود ولو أن معظمهم لم يكن يتوقع تحقيق هذه الأحلام ٠٠ وحين كان " روبرت " في مدرسة صهيونية تابعة لحبر الأحبار في الإسكندرية ، كان يعود إلي البيت و هو يتحدث بإعجاب شديد عن قرب نشوء دولة اليهود ، لكن والديه كانا يسخران منه ، بل كانا يمنعانه من الاشتراك في اجتماعات الصبية اليهودية الدورية " الصهيونية " لكن الصبي كان متحمساً للصهيونية بشدة ، و أصبح عضواً في منظمة " الشبيبة الصهيونية " عام ١٩٤٧ ولم تكن قد حظر نشاطها في مصر بعد ٠٠ وكان هناك خط سكك حديدية بين مصر وبين فلسطين الواقعة تحت الانتداب البريطاني ، فكان المصريون يقضون الصيف في القدس ، بينما يقضي يهود القدس إجازاتهم في الإسكندرية ، وكانت التجارة متبادلة !

( )

لكـــــن هذا الوضع تغير ، بعد أن أعلنت دولة إسرائيل في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ واعتبر العرب ذلك تحدياً وبدأت الحرب ٠٠ في نفس اليوم انتشر البوليس المصري في كل مدن مصر الكبيرة وألقوا القبض على من يقوم بنشاط سياسي من الصهاينة ، بما فيهم الشبيبة ٠٠ أمثال روبرت داسا ٠

وأطلـــق سراح " داسا " بعد أيام قليلة و عمل في إحدى شركات الاستيراد و التصدير التي يملكها أحد اليهود ٠٠ وكان " داسا " يقوم بكتابة مكاتبات الشركة باللغة العربية ٠

ولـــم يهمل " داسا " لقاءاته مع أصدقائه في " منظمة الشبيبة " المحظورة فكان عليهم أن يلتقوا سراً ٠٠ ولكنهم لم يكونوا خائفين ، لأن المصريين لم يعاملونهم بسوء حتى بعد أن خسروا الحرب ضد إسرائيل ٠

ولـــم يتغير الوضع كثيراً بعد قيام الثورة في عام ١٩٥٢ ضد الملك فاروق ٠٠ وكان محمد نجيب أقوى رجل في البلاد ، قبل أن يتسلم منه جمال عبد الناصر السلطة ٠٠ فقد زار أحد المعابد اليهودية علناً حتى لا يتهم بعدائه لليهود !

فـــــي عام ١٩٥٢ التقى " داسا " بـ " دارلنج " وفحص " دارلنج " مبادىء و حوافز داسا الصهيونية ساعات طويلة وسأله عن حياته بالتفصيل ، ثم عرفه بنفسه ٠٠ فهو " عميل إسرائيل مجند " و كلف دارلنج داسا بأن يكون " خلية " مع باقي زملائه و لم يكن هناك " مخطط مرسوم " أو حتى مخطط واضح بعد ليبين متى يقوم هؤلاء بأعمالهم الإرهابية ٠

وكـــــون " داسا " الخلية التي لم يكن فيها إلا شباب مثله ، لا يعرفون عن مهمة المخابرات السرية إلا تحمسهم الشديد لإسرائيل و أعجب داسا " بلعبة التجسس " التي يمارسها وكان يرتب اللقاءات السرية على خريطة المدينة ، و ينظم " الاجتماعات الهامة " ٠

( )

فـــــي عام ١٩٥٣ واجهت دولة إسرائيل أول و أعنف أزمة مرت بها ، حين انسحب رئس الوزراء الذي يعتبر " أبا الدولة " وأكبر الشخصيات السياسية الإسرائيلية مكانة ٠٠ وهو دافيد بن جوريون ، من الحياة السياسية ، بعد أن مل الدسائس في حزبه ، و الصراعات الجانبية والإهانات الشخصية !

أراد " بن جوريون " الابتعاد لمدة عامين أو ثلاثة أعوام عن هذا " العمل الكريه " وذهب إلي " المزرعة الجماعية " ٠٠ " سدي بوكر " في صحراء النقب ليزرع الطماطم كما قال ! ولكنه قبل أن ينصرف إلي الزراعة كلية ، استخدم كل إمكانياته السياسية و تجربته وعين عدداً من المسئولين في مواقع سياسية هامة ٠

فقـــــد عين " بنحاس لافون " وزيراً للدفاع ، و " شيمون بيريز " مديراً عاماً لوزارة الدفاع ، و " موشي ديان " قائداً أعلى للجيش ، و " عيزر هاريل " رئيساً للموساد ورغم أنه كان من المتوقع أن يكون " ليفي إشكول " رئيساً للوزارة ٠٠ إلا أن " موشي شاريت " هو الذي تولى المنصب و هو معروف بإنحيازه للتفاهم مع العرب !

لكـــــن هذه " النخبة " السياسية – كما تخيلها " بن جوريون " العجوز لم تصمد طويلاً فقد أصبحت المزرعة ملاذاً لكل الوزراء ، الذين كان منهم من يتملق الرئيس السابق ، أو من ينشد عنده النصيحة !

وكـــــان " ديان " و " بيريز " يشتكيان طوال الوقت من " لافون " الذي لا يتمتع بحب من يعمل معه ، لأنه ينادي دائماً بالتفاهم مع العرب ، و لا يوافق على المهمات العسكرية الكبيرة بينما يشتكي " هاريل " من أن " أمان " فرع المخابرات العسكرية لا يريد أن يأتمر بأوامر "هاريل " بل يقوم بأعمال عسكرية على مسئوليته الخاصة ٠

( )

وذكـــر " عيزر هاريل " اسم الرجل الذي يسبب له كل هذه الصعوبات ، و هو " بنجامين جيبلي " و كان " جيبلي " في أول حياته ضابطاً طموحاً وقد بدأ التجسس لحساب " شاي " وهو في الخامسة و العشرين من عمره ٠

وكــانــت " شاي " منبثقة عن المخابرات السرية للجيش اليهودي السري " هاجاناه " في فلسطين المحتلة ٠٠ وفي عام ١٩٤٨ أصبح حاكماً لمدينة القدس ، و كان أحد القضاة الذين حاكموا ضابط المخابرات " مائير توبيانسكي " وأعدمه ظلماً ٠

وفـــــي عام ١٩٤٩ أصبح نائباً لرئيس " أمـــان " ثم سافر إلي إنجلترا و أمريكا ليتابع تدريبه و تعليمه ٠٠ وبعد عودته أصبح رئيساً للمخابرات العسكرية وقرر أن يصبح قائداً للجيش ليحارب عدوه الأكبر مصر ٠٠ !

وأثنـــــاء فترة رئاسته " لأمـــان " حاول بكل الطرق تكثيف حملته العدائية لمصر وحين كلف " بن جوريون " عام ١٩٥٣ " عيزر هاريل " برئاسة كل أجهزة المخابرات كان هذا ضربة قاضية " لجيبلي " فهو لن يرضخ لأوامر " هاريل " ٠٠ و خطط " جيبلي " لتكوين ما يشبه (الوحدة ١٣١) التي قادت حرب الإرهاب ضد الفلسطينيين وقامت بالأعمال التخريبية في مصـــر ٠

وأرســـل " إبراهام دار " إلي القاهرة ، و هو رجل مخابرات متمرس ، تحت اسم "دارلنج" كما جاء في جواز سفره البريطاني المزور ، حيث كون في القاهرة خليتي مخابرات سريـــة ٠

وكـــان يرأس إحدى الخليتين طبيب تونسي يهودي هو د. " مو شي مرزوق " ويعمل جراحاً في " المستشفى الإسرائيلي " في القاهرة و كان يرأس الخلية الثانية في الإسكندرية المدرس " سامي عازار " و كانت " ڤيكتورين نينيو " و تسمى " مارسيل " هي التي تقوم بالاتصال بين الخليتين ، و هي فتاة رياضية جميلة ، وهي أيضاً ابنة عائلة كبيرة في القاهرة ، طويلة شعرها قصير ، تتمتع بأنوثة طاغية حتى أطلقت عليها الصحافة المصرية « انجريد برجمان الصهيونية »!.. نظراً للشبه الملحوظ بينهما ، ووصفت أيضاً بلقب « ماتاهاري اليهودية » وقد إرتبطت بصداقات مع بعض الضباط المصريين فى أندية هليوليدو والجزيرة !

كـــــان علـى العمـلاء الإسـرائيليين ، الـذين لا يعملـون لحساب الموسـاد ، ولكـن لحساب "أمان " أن يتجسسوا علـى الجيش المصـري ٠٠ لكن العمـلاء – الهـواة – كـانوا كثيراً مـا ينسون أوراقـاً هامـة وصـوراً و مـواد أخـرى فـي المقـاهي العامـة أو فـي أمـاكن أنتظـار الـسيارات ، ويتواعدون على اللقاء في أماكن لا تصلح أصـلاً لاجتماعات على هذا المستوى من السرية ٠٠ وكانت المعلومات التي توردها الخليتان " لأمـــان " لا تساوي أية أهمية ٠

ولكــــــن " جيبلي " رئيس " أمـــان " لم ييأس وأرسل في طلب خمسة من العملاء إلي إسرائيل عن طريق باريس ، لتدريبهم تدريباً خاصاً ٠٠ وفي بيت صغير في يافا دربت العميلة "راشيل " العملاء ، على التعامل مع المتفجرات ، و الكتابة بالحبر السري ، و استعمال الشفرة ، وفك رموزها ، واستخدام جهاز الإرسال الصغير ، و استعمال الكاميرات الصغيرة ، وقد تدرب " روبرت داسا " في يافا ، و تخصص في صنع القنبلة اليدوية و الإرسال ٠

وقـــــــد جهــزت " راشيـــل " العمـلاء الخمسة بأجهـزة إذاعـة وشـفرة سـرية و مـواد متفجـــرة ، و أرسلتهم إلي مصر ٠

ذو الملامح الأوروبية :-

كـــــان زميلاً لـ " دارلنج " في الحرب ، ويعيش منذ بضعة شهور في مصر وهـو " إفـري إيـلاد " إسـرائيلي ، عينـاه زرقـاوان و شـعره أصـفر أشقر ، و هـو إبـن رجـل نمسوي اشـتراكي ، هـرب قبـل إنـدلاع الحـرب العالميـة الثانيـة مباشـرة و هـاجر إلـي فلسطين ، وشـارك فـي الحركـة السـرية هنـاك ، وكـان يقـود عمليـات التخريـب التـي تقـوم بهـا " هاجانـاه " و بعـد تـشكيل الدولـة اليهودية أصبح ضابطاً ثم مديراً لمدرسة مدفعية إسرائيلية ، ورغم ذلك فهو لم يكن يحب الجيش ، فتركه عام ١٩٥٠ وعمل في إحدى مصانع السيارات ، وفي عام ١٩٥٢ انضم إلي " أمان " حيث رحبوا به بسبب شكله الأوربي الذي لن يلفت النظر إذا ما أرسلوه إلي البلاد الأوربية ٠

( )

فـــي عام ١٩٥٣ سافر إلي ألمانيا في مهمة خاصة وهناك وجد بيانات شخصية في ملفات الجيش الألماني لضابط برتبة رائد ، وكان هذا الرائد و أسمه " بول فرانك " قد مات في إحدى العمليات في فلسطين عام ١٩٤٢ وقرر إيلاد أن يستمر في دور المتوفي !

استطـاع " إيلاد " الحصول على شهادة وجواز سفر باسم فرانك ، وعلى شهادة تعميد مسيحية ، وتم ذلك بفضل الاتصالات الإسرائيلية الحسنة بالسلطات الألمانية ، كما ساعدت وظيفته الجديدة في إحدى الشركات الألمانية على إكمال تنكره ، و ساعدته الظروف أكثر ، حين تعـــرف على سفير ألمانيا في مصر ، على السفينة التي استقلها من جنوا إلي الإسكندرية ، ودعاه إلي حفلة كوكتيل تقيمها السفارة ، وكان هذا بداية مسيرته الناجحة في المجتمع الراقي المصري ٠

وفـــي يوم ٢٥ مايو عام ١٩٥٤ تلقى " فرانك – إيلاد " برقية عاجلة من المركز الرئيسي للموساد ، أبلغوه فيها أن عليه أن يتواجد في باريس في اليوم التالي ، وفي مقهى " سان جيرمان " أبلغه رسول " جيبلي " أوامر القيادة ، و هي تقضي بأن " يتسلم " إيلاد خلايا " أمان " الموجودة في القاهرة و الإسكندرية ، و أن يبحث عن أهداف لتخريبها أما باقي التفاصيل والتعليمات ، فسيتلقاها " إيلاد " من خلال برنامج المرأة اليوم " لربة البيت " الذي يذاع من الإذاعة الإسرائيلية !

لــــم يتحمس " إيلاد " لفكرة رئيسه ، فهو يفضل أن يعمل بمفرده ولا يرحب بالعمل المشترك ، وهو يريد أن يطارد النازيين ، لا أن يقوم بأعمال إرهابية لا يرى فيها أي معنى أو جدوى ، ولكنه رضخ للأمر في النهاية دون أن يعلم أن " عملية سوزانا " لم يوافق عليها رئيس الموساد ولا القيادة السياسية في الدولة ٠

( )

فـــــي يـوم ٣١ يونيـه بـدأ " إيـلاد " اتـصالاته بالجواسـيس الإسـرائيليينفـي القـاهرة والإسكندرية ٠٠ وأبلغهم بخطـة " أمـان " واعترى القلق الكثيريين منهم لكن " فرانـك – إيـلاد " لفت نظرهم إلي أنهم مثل أي جندي إسرائيلي يتلقى الأوامر من القيادة وعليـه أن ينفذها ولذلك بدأوا يخططون لعمليات التخريب القادمة ٠

قـــال روبرت داسا في اعترافاته : " أن الساعات الأولى كانت أسوأ ما مر عليه " فقد كانت هي الصدمة الأولى ، التي أدرك معها أن كل شيء قد انتهى ثم ترامى إليه نبأ القبض على والديه أيضاً ، ثم ضرب رجال البوليس له ، ليعترف ٠٠٠

واستطـاع أن يتحمل ويصمد نصف ساعة ، ثم ساعتين ، ثم أربع ساعات ٠٠ وظل يردد قصته ، أنه قابل فتاة وأخذها معه إلي السينما ، ولا يعرف أي شيء عن أي شـيء ، وعندما اشتد الضرب و وقع من على كرسيه ، سأل رجال البوليس زميله فيكتور بعد ذلك ، هل " روبرت داسا " إنسان أم حيوان فالإنسان لا يمكن أن يتحمل الضرب !

وقـــال " داسا " في اعترافاته : إن صمته لم يكن عملاً بطولياً بأية حال ، ولكنه الخوف فلم يكن يعرف ماذا يجيب المحققين الذين يسألونه وقال : أنه قد ولد في مصر وعاش فيها ، فهل يمكن أن يعترف بأنه يخرب (بلاده) أم يقول لهم أن ولاءه خاص بدولة أخرى ، دولة معادية هي إسرائيل وقال : إن أي شيء كان سيقوله ، لم يكن ليثير إلا المتاعب ولهذا فقد ظل صامتاً ٠

فـــي الساعة الرابعة صباحاً زج البوليس " بروبرت داسـا " في إحدى الزنزانات المليئـة بالسكاري ٠٠ و أقفلوا عليه الباب الحديدي فإنتابه إحساس مرعب بأنهم عزلوه عن العالـم كلـه ، و تركوه مع روائح السكاري ٠٠ كانت ثيابه ممزقة ومليئة بالدم الذي كان يسيل من أنفه وأذنيه وخلع حذاءه و وضع رأسه عليه ونام !

( )

فـــــي اليوم التالي واجه رجال البوليس " روبرت داسا " بأقوال زملائه " فاعترف " ، بما اعترف به زملاؤه – بأنهم خلية شيوعية سرية تعمل في مصر وتقوم بأعمال تخريبية ، لكن هذه القصة لم تستمر طويلا ، ففي أول ديسمبر عام ١٩٥٤ بدأت محاكمة المصريين لهم ، على مستوى عال من العناية و الدقة ، و كانت الأدلة ضد عملاء " أمان " أكثر مما يمكن إنكاره وقد استطاع المحققون الحصول عليها من العملاء أنفسهم وقد حدث أن الفتاة " مارسيل نينيو " التي كانت تقوم بالاتصال بين الشبكتين ، حاولت أن تقفز مرتين من النافذة لتنتحر ، لكنهم كانوا ينقذونها في كل مرة !

وقـــــد ظلت مارسيل نينو بطلة الرياضة الأولمبية مختفية لفترة بفضل اتصالاتها الكثيرة و أصدقائها العديدين ولكنها وقد أصابها القلق لشعورها بتعقب رجال المباحث المصرية لها لجأت أخيرا إلي بيت "ماكس بنيث" صاحب محل الأطراف الصناعية و المسئول الأول الدائم عن عمليات المخابرات الإسرائيلية في مصر ، وقد كان أيضا تحت مراقبة البوليس ٠٠ وعندما هاجم ضباط مكافحة الجاسوسية شقة بنيث ألقوا القبض عليه و هو يقوم بتجميع جهاز إرسال استعدادا لتبليغ رسالة إلي تل أبيب ، و كانت مارسيل نينو تقف بجواره تساعده ٠

رشوة بنصف دجاجة مشوية :-

ولكـــــن ماكس بنيث خلافا لناثان قرر أن يظل صامتا حتى النهاية ، وخوفا من أن ينهار تحت ضغط التعذيب على أيدي المصريين ، استطاع أن يرشوا أحد حراس السجن بنصف دجاجة مشوية بعثت بها إليه زوجته ، وحصل منه على شفرة حلاقة جديدة بحجة استخدامها في حلاقة ذقنه ، ولكنه قطع بها شريان معصمه فمات في الحال ، وتمكن كل من إبراهام دار " جون دارلنج " وبول فرانك من الهرب من مصر قبل أن يتم القبض عليهما ، أما بقية أعضاء الخلية وعددهم ١١ شخصا من الرجال و النساء فقد سقطوا في يد البوليس المصري ، وجرى استجوابهم في صيف عام ١٩٥٤م ٠

وفـــــي النهاية إنهار جميع أعضاء الشبكة نفسياً وجسدياً و اعترفوا بحقيقة نشاطهم ، وأخبروا المصريين كيف قام رجال الموساد ورجال المخابرات العسكرية الإسرائيلية بتجنيدهم وتدريبهم ، وكيف قاموا بالتجسس ضد وطنهم الأصلي مصر منذ أكثر من سنتين ، وأخيراً كيف بدأوا حملة الإرهاب و التخريب التي تم تخطيطها لتشويه سمعة مصر في أعين الشعوب الغربيـــة ، وادعوا أنهم مصريون حقيقيون ولكنهم آلة صماء في أيدي أسيادهم الإسرائيليين !

وقـــــــدم أعضاء الشبكة إلي المحاكمة ، وصدر الحكم في فيليب ناثان وشاب آخر بالسجن المؤبد ، كما حكم على مارسيل نينو وروبرت داسا بالسجن خمسة عشرة عاماً ، أما بقية الأعضاء فقد حصلوا على أحكام مخففة ، ولكن اثنين منهم ، وهما صمويل عازر والدكتور موسى مرزوق ، حكم عليهما بالإعدام شنقاً ، و نفذ فيهما الحكم في العاشر من يناير عام ١٩٥٥م

أمـــــا "إيلي كوهين" فقد استطاع بما لديه من دهاء وخبرة أن يقنع مستجوبيه بأنه يجهل تماماً معرفته بوجود شبكة التجسس والتخريب ، فما هو إلا مدير وكالة سياحة تعمل في نطاق القانون ، و أخيراً تم إطلاق سراحه ، و كانت هذه في الواقع أكبر مفاجأة في القضية بالنسبة للعارفين ببواطن الأمور !

رفعت الجمال وإيلي كوهين :-

فـــــي مذكراته التي نشرت بصحيفة الأهرام في ١٩٩٤/٣/٢٦ أشار البطل المصري رفعت الجمال الشهير بـ " رأفت الهجان " ٠٠ إلي دورة في الكشف عن إيلي كوهين ومجموعته وكانت أولى المهام الناجحة لبطلنا قبيل سفره إلي إسرائيل ٠٠ فيقول : بدأت فترة تدريب مكثف شرحوا لي أهداف الثورة وفروع علم الاقتصاد و تعلمت سر نجاح الشركات المتعددة الجنسية وأساليب إخفاء الحقائق بالنسبة لمستحقات الضرائب و وسائل تهريب الأموال ٠٠ وتعلمت بالإضافة إلي ذلك عادات اليهود و سلوكياتهم وتلقيـــت دروساً مكثفة في اللغة العبرية كما تعلمت

تاريخ اليهود في مصر و أصول ديانتهم و عرفت كيف أمايز بين اليهود الأشكناز والسفارد والشازيد و حفظت عن ظهر قلب الشعائر اليهودية و عطلاتهم الدينية و تدربت بعد هذا على جميع عادات الشرطة السرية للعمل بنجاح متخفياً وأخيراً تقمصت شخصيتي الجديدة و أصبحت منذ ذلك التاريخ "جاك بيتون" المولود في ٢٣ أغسطس عام ١٩١٩ في المنصورة ، من أب فرنسي و أم إيطالية ، و أن أسرتي تعيش الآن في فرنسا بعد رحيلها من مصر و هي أسرة كانت لها مكانتها وميسورة الحال ، و ديانتي هي يهودي اشكنازي و تسلمت وثائق تحمل اسمي الجديد والتواريخ الجديدة ٠

وخرجت إلي العالم بهذه الشخصية الجديدة و لكل ما تعلمته قصدت الإسكندرية مباشرة ، كنت رسمياً في الرابعة و الثلاثين من العمر آنذاك و إن كنت أبدو أصغر سناً وتسلمت رقم تليفون وتحدد لي موعد للاتصال عن طريقة و الإفادة بما لدي من معلومات ٠

وعثـــرت في الإسكندرية على شقة صغيرة جميلة في حي من المدينة يكثر به اليهود وحصلت على وظيفة كاتب في إحدى شركات التأمين ورويداً رويداً تزايدت ثقتي بنفسي وزايلتني مخاوفي وبدأت اقتنع بأنني يهودي ٠٠ وبعد فترة قصيرة قابلت ليفي سلامه الذي زاملته في زنزانة السجن وقتما كنت نزيلاً به في فترة سابقة باسم دافيد أرونسون ، حياني كصديق قديم واصطحبني ليقدمني إلي اصدقائه ، و على الرغم من حذري إلا أنني كنت على يقين من أنه صدقني وسلم بأن هذه هي حقيقتي ، وبذا كان مفتاحي إلي قلب الطائفة اليهودية و حيث أنني لم أكن قد قلت اسمي قبل ذلك فلم أجد مشكلة في تقديم نفسي له باسم جاك بيتون ٠٠ وبعد ثلاثة أيام من لقائنا قابلني بعد انتهاء العمل وقدمني إلي أمرأة شابة تدعى "مارسيل نينو" و كان واضحاً في ضوء ما تعلمته في السابق أن القصد من اللقاء هو أن تتفحصني بدقة نيابة عن ليفي سلامة وأصدقائه ، حيث أنني كنت أعرف الهدف جيداً من اللقاء فقد اجتهدت وسارت الأمور على ما يرام كانت مارسيل امرأة جذابة و من ثم لعبت عليها وبدأت علاقة معها ٠٠ جذبت كل الخيوط التي أعرفها و سرعان ما كسبتها إلي صفي وقدمتني لرجل كان يعمل لحساب نفس المجموعة ..

( )

كان اسمه " إيلي كوهين " أبواه من سوريا و لذا كان يتحدث العربية بلكنة سورية و هو يهودي وعضو له مكانته وسط الطائفة اليهودية في المدينة، أصبحنا صديقين وبدأنا نقضي معاً وقتاً طويلاً و كان سلامه قريباً منا أيضاً ، وذات يوم قلت له أنني أريد إخراج مبلغ كبير من أموال الأسرة إلي خارج البلاد ٠٠ وثبت صواب شكوكي من أن سلامة متورط مع المسئولين المباشرين عن هذا ٠٠ إذا تلقف الكرة على الفور وأتاني بعروض عديدة رفضتها جميعاً بحجة أنها غير جادة وبالطبع كنت أبلغ "الضابط المسئول حسن حسني" بانتظام بكل ما أتوصل إليه من معلومات، حاولت أن أتعقب سلامة لاكتشف قنوات نشاطة وأسلوب عملها، جاهد للتمويه على ، غير أنني في النهاية ظفرت به، وعرفت أن التنظيم يرأسه رجل أعمال إنجليزي من سويسرا ، أسمه جون درالنج و تلقيت من " حسن حسني " مبلغاً كبيراً من المال لأسلمه إلي " سلامة " نجحت الخطة و وضع حسني سلامة تحت المراقبة و تم القبض على كل المنظمة متلبسة في مصر ، لم يكتشف أحد أمري و قمت بدور الضحية ، إذ بدوت في صورة شاب خسر ثروته وأصبحنا صديقين بمرور الوقت ، و وثق بي كوهين وائتمني على الكثير من أسراره !

أكتشفت أنه نشيط جداً في مناهضة البريطانيين و أنه يساعد اليهود على الهجرة من مصر إلي إسرائيل ٠٠ و عرفت أنه عضو نشيط لحساب مجموعة " العالياه بيت " المسئولة عن تنظيم عمليات الهجرة إلي إسرائيل ٠

وخـــلال هذه الفترة كانت المخابرات العسكرية السرية الإسرائيلية " أمان " قد بدأت تنشط داخل مصر ، و كان الكولونيل " إفراهام دار " على رأس الوحدة الخاصة التي انشأتها في مصر للشروع في سلسلة من الأعمال التخريبية ضد المؤسسات الأجنبية لتبدو الأحداث في صورة أعمال إرهابية يرتكبها الوطنيون المصريون و تم تجنيد "إيلي" ضمن هذه المجموعة وبناء على أوامر من " حسن حسني " عمدت إلي إقناع كوهين بضمي إلي هذه المجموعة أيضاً وهكذا أصبح دوري الآن أشد خطراً بكثير من السابق، فها أنذا الآن أتعامل مع قضايا عسكرية وليس مع مواطنين عاديين يقترفون جريمة ما ، ثم أن المجموعة التي كنت أتابع حينذاك نشاطها متخفياً لم

تكن تتورع عن قتل عدوها ، لا أدري ما الذي حفزني إلي ذلك ، غير أنني كنت مقتنعاً تماماً بأن أعمل كل ما في وسعي لكي أساعد بلدي و حضر حسن حسني بنفسه إلي الإسكندرية لكي يسمع مني معلوماتي ، و ما أن وصلت إلي النقطة الخاصة باجتماعنا السري حتى وجدته بصحبة رجل آخر ٠٠ عرفنا كل منا بالآخر ، كان هذا الرجل هو " علي غالي " المسئول في مصر عن نشاط الجاسوسية و الجاسوسية المضادة ، و حيث أن مهمتي الآن أصبح لها طابع دولي فقد أصبح غالي مسئولاً عني إذ كان حسن حسني مسئولاً فقط عن القضايا الداخلية ٠٠ شكرني حسني على جهودي حتى الآن و تركني مع علي غالي وحدنا ٠٠ قال لي غالي إنه فخور بجهدي حتى الآن ويريدني أن أبقى على العهد و أكون عند حسن الظن و أخبرني أن استعدادات تجري لتوسيع نشاط جهاز المخابرات المصري ، و أضاف أنني الآن أصبحت واحداً من عملائه و يتوقع مني أن أستمر في عملي مثلما كنت في السابق ، اختلط علي الأمر و إن لم يهن عزمي و أيقنت إني انزلقت إلي ميدان الجاسوسية ٠٠ لم أدرك الفارق و في عام ١٩٥٣ كنت ضمن مجموعة كولونيل أفراهام دار و معي إيلي كوهين المعروفة باسم " الوحدة ١٣١ " وعندما أعدت هذه المجموعة عدتها للقيام بعمليات تخريب واسعة أبلغت غالي ، و ألقي القبض على ١٤ من أعضائها ، و منهم ماكس بينيت مندوب المخابرات العسكرية الإسرائيلية " أمان " و تم إعدام اثنين منهم ٠

بعـــــد إطلاق سراح إيلي كوهيـــن ذهب للإقامة في الإسكندرية و واصل عمله كجاسوس مقطوع لإسرائيل ، كان لا يزال يمتلك جهاز إرسال أمدته به الشبكة السابقة قبل تدميرها وبواسطة هذا الجهاز أخذ يرسل أي معلومات يستطيع جمعها و لو كانت بسيطة إلي تل أبيـــــب ٠٠

ولكـــــن إيلي كوهين استطاع أيضاً أن يرسل بعض التطورات المثيرة و منها النفوذ المتزايد للنازيين السابقين – الذين منحوا حق اللجوء في مصر – داخل حكومة عبد الناصر ٠

كـــــان نشاط كوهين لصالح الحركة الصهيونية لسنوات عديدة أكبر من أن يمر بلا اكتشاف خاصة في هذه المرحلة التي احتدت فيها مشاعر المصريين ضد إسرائيل ، ولكن مرة أخرى استطاع إيلي أن يخرج كالشعرة من العجين فقد استطاع أن يقنع مستجوبيه أنه صهيوني بالعقيـــدة فقط ، ولم يتمكن المحققون من اكتشاف أي دليل يثبت نشاطه الصهيوني أو المعادي للبلاد ، بيد أنهم أبلغوه أنه سيتم طرده من مصر !

وفـــــي ٢ ديسمبر ١٩٥٦ وجد إيلي كوهين نفسه على ظهر سفينة لاجئين تابعة للصليب الأحمر الدولي أبحرت من الإسكندرية إلي نابولي ، و من هناك إستقل مع عدد كبير من اللاجئين اليهود المجتمعين هناك إحدى الناقلات الإيطالية إلي ميناء حيفا ٠٠

أوراق من ملف إيلي كوهين :-

" إلياهو بن شاؤول كوهين " ٠٠ من أصل سوري حلبي ، ولد بالإسكندرية في ١٦ ديسمبر عام ١٩٢٤ ، انضم إيلي كوهين إلي " منظمة الشباب اليهودي الصهيوني " بالإسكندرية عقب حرب ١٩٤٨ عمل تحت قيادة " إبراهام دار " في مساعدة اليهود على الهجرة و تجنيد العملاء ، في عام ١٩٤٩ هاجر أبواه و أشقاءه إلي إسرائيل بينما بقى هو في الإسكندرية ، وفي عام ١٩٥٤ ألقى القبض على أفراد شبكة " فضيحة لافـــون " ٠٠

عنــــد التحقيق كان إيلي كوهين قد تمكن من إقناع المحققين ببراءة صفحته إلي أن خرج من مصر عام ١٩٥٥ حيث التحق هناك بالوحدة رقم ١٣١ بجهاز أمان لمخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي ثم أعيد إلي مصر ولكنه كان تحت عيون المخابرات المصرية التي لم تنس ماضيه فاعتقلته مع بدء العدوان الثلاثي ضد مصر في أكتوبر ١٩٥٦ م ٠

وبعــــد الافراج عنه هاجر إلي إسرائيل عام ١٩٥٧ ، حيث استقر به المقام محاسباً في بعض الشركات ، و انقطعت صلته مع " أمان " لفترة من الوقت ، ولكنها استؤنفت عندما طرد من عمله و عمل لفترة كمترجم في وزارة الدفاع الإسرائيلية ولما ضاق به الحال استقال و تزوج من يهودية من أصل مغربي عام ١٩٥٩ م ٠

وقــــد رأت المخابرات الإسرائيلية في إيلي كوهين مشروع جاسوس جيد فتم إعداده في البداية لكي يعمل في مصر ، ولكن الخطة ما لبثت أن عدلت ، ورؤى أن أنسب مجال لنشاطه التجسسي هو دمشق و بدأ الإعداد الدقيق لكي يقوم بدوره الجديد ، و لم تكن هناك صعوبة في تدريبه على التكلم باللهجة السورية لأنه كان يجيد العربية بحكم نشأته في الإسكندرية ٠

ورتبــت له المخابرات الإسرائيلية قصة ملفقة يبدو بها مسلماً يحمل اسم " كامل أمين ثابت " هاجر وعائلته إلي الإسكندرية ثم سافر عمه إلي الأرجنتين عام ١٩٤٦ حيث لحق به كامل و عائلته عام ١٩٤٧ وفي عام ١٩٥٢ توفى والده في الأرجنتين بالسكتة القلبية كما توفيت والدته بعد ستة أشهر و بقى كامل وحده هناك يعمل في تجارة الأقمشة !

وتــــم تدريبه على كيفية استخدام أجهزة الإرسال و الاستقبال اللاسلكي و الكتابة بالحبر السري كما راح يدرس في الوقت نفسه كل أخبار سوريا و يحفظ أسماء رجالها السياسيين والبارزيــــن في عالم الاقتصاد و التجارة مع تعليمه أصول الآيات القرآنية و تعاليم الدين الإسلامي ٠

وفــــي ٣ فبراير ١٩٦١ غادر إيلي كوهين إسرائيل إلي زيورخ ، ومنها حجز تذكرة سفـــر إلي العاصمة التشيلية سنتياجــو باسم " كامل أمين ثابت " و لكنه تخلف في بيونس إيرس حيث كانت هناك تسهيلات معدة سلفاً لكي يدخل الأرجنتين بدون تدقيق في شخصيته الجديــدة ٠

وفـــــي الأرجنتين استقبله عميل إسرائيلي يحمل اسم إبراهام حيث نصحه بتعلم اللغة الإسبانية حتى لا يفتضح أمره وبالفعل تعلم كوهين اللغة الإسبانية و كان إبراهام يمده بالمال ويطلعه على كل ما يجب أن يعرفه لكي ينجح في مهمته ٠

وبمساعدة بعض العملاء تم تعيين كوهين في شركة للنقل و ظل لمدة تقترب من العام يبني وجوده في العاصمة الأرجنتينية كرجل أعمال سوري ناجح فكون لنفسه هوية لا يرقى إليها الشك و اكتسب وضعاً متميزاً لدى الجالية العربية في الأرجنتين ، باعتباره قومياً سورياً شديد الحماس لوطنه و أصبح شخصية مرموقة في كل ندوات العرب و إحتفالاتهم و سهل له ذلك إقامة صداقات وطيدة مع الدبلوماسيين السوريين و بالذات مع الملحق العسكري بالسفارة السورية العقيد أميـن حافـظ !

وخـــــلال المآدب الفاخرة التي أعتاد كوهين أو كامل أمين ثابت إقامتها في كل مناسبة وغير مناسبة ليكون الدبلوماسيون السوريون على رأس الضيوف ، لم يكن يخفي حنينه إلي الوطن الحبيب ، ورغبته في زيارة دمشق لذلك لم يكن غريباً أن يرحل إليها بعد أن وصلته الإشارة من المخابرات الإسرائيلية و وصل إليها بالفعل في يناير ١٩٦٣ حاملاً معه آلات دقيقة للتجسس ، ومزوداً بعدد غير قليل من التوصيات الرسمية و غير الرسمية لأكبر عدد من الشخصيات المهمة في سوريا ، مع الإشادة بنوع خاص إلي الروح الوطنية العالية التي يتميز بها و التي تستحق أن يكون محل ترحيب و إهتمام من المسئولين في سوريا !

وبالطبـــع لم يفت كوهين أن يمر على تل أبيب قبل وصوله إلي دمشق ، ولكن ذلك تطلب منه القيام بدورة واسعة بين عواصم أوربا قبل أن ينزل في مطار دمشق وسط هالة من الترحيب والاحتفال ٠٠ و أعلن الجاسوس أنه قرر تصفية كل أعماله العالقة في الأرجنتين ليظل في دمشق مدعياً الحب لوطن لم ينتمي إليه يوماً !

( )

وبعـــد أقل من شهرين من استقراره في دمشق ، تلقت أجهزة الاستقبال في أمان أولى رسائله التجسسية التي لم تنقطع على مدى ما يقرب من ثلاث سنوات بمعدل رسالتين على الأقل كـل أسبـوع ٠

وفـــي الشهور الأولى تمكـن كوهيـن أو " كـامـــل " من إقامة شبكة واسعة من العلاقـات المهمة مع ضباط الجيش و المسئولين الحربيين ، و كان من الأمور المعتادة أن يقوم بزيارة أصدقائه في مقار عملهم ، ولم يكن مستهجناً أن يتحدثوا معه بحرية عن تكتيكاتهم في حالة نشوب الحرب مع إسرائيل ، و أن يجيبوا بدقة على أي سؤال فني يعلق بطائرات الميج أو السوخوي أو الغواصات التي وصلت حديثاً من الاتحاد السوفيتي أو الفرق بين الدبابة تي ٥٣ و تــي ٥٤ ٠٠٠ ألخ من أمور كانت محل إهتمامه كجاسوس ، وبالطبع كانت هذه المعلومات تصل أولاً بأول إلي إسرائيل و معها قوائم بأسماء و تحركات الضباط السوريين بين مختلف المواقع والوحدات !

وفـــي سبتمبر ١٩٦٣ صحبه أحد أصدقائه في جولة داخل التحصينات الدفاعية بمرتفعات الجولان و قد تمكن من تصوير جميع التحصينات بواسطة آلة التصوير الدقيقة المثبتة في ساعة يده ، و هي إحدى ثمار التعاون الوثيق بين المخابرات الإسرائيلية و الأمريكية ٠

ومـــع أن صور هذه المواقع سبق أن تزودت بها إسرائيل عن طريق وسائل الاستطلاع الجوي الأمريكية ، إلا أن مطابقتها على رسائل كوهين كانت لها أهمية خاصة سواء من حيث تأكيد صحتها ٠٠ أو من حيث الثقة في مدى قدرات الجاسوس الإسرائيلي !

وفـــي عام ١٩٦٤ عقب ضم جهاز أمان إلي الموساد زود كوهين قادته في تل أبيب بتفصيلات وافية للخطط الدفاعية السورية في منطقة القنيطرة وفي تقرير آخر أبلغهم بوصول صفقة دبابات روسية من طراز تي ٥٤ وأماكن توزيعها وكذلك تفاصيل الخطة السورية التي أعدت بمعرفة الخبراء الروس لاجتياح الجزء الشمالي من إسرائيل في حالة نشوب الحرب ٠

وأزداد نجاح إيلي كوهين خاصة مع إغداقه بالأموال على حزب البعث وتجمعت حوله السلطة واقترب من أن يرشح رئيساً للحزب أو للوزراء !

وهنـــاك أكثر من رواية حول سقوط إيلي كوهين نجم المجتمع السوري لكن الرواية الأصح هي تلك التي يذكرها رفعت الجمال الجاسوس المصري الشهير بنفسه ٠٠

" **.. شاهدته** مرة في سهرة عائلية حضرها مسئولون في الموساد و عرفوني به أنه رجل أعمال إسرائيلي في أمريكا و يغدق على إسرائيل بالتبرعات المالية ٠٠ ولم يكن هناك أي مجال للشك في الصديق اليهودي الغني ، و كنت على علاقة صداقة مع طبيبة شابة من أصل مغربي اسمها (ليلى) وفي زيارة لها بمنزلها شاهدت صورة صديقنا اليهودي الغني مع أمرأة جميلة وطفلين فسألتها من هذا ؟ قالت أنه إيلي كوهين زوج شقيقتي ناديا و هو باحث في وزارة الدفاع وموفد للعمل في بعض السفارات الإسرائيلية في الخارج فلم تغب المعلومة عن ذهني كما أنها لم تكن على قدر كبير من الأهمية العاجلة ، وفي أكتوبر عام ١٩٦٤ كنت في رحلة عمل للاتفاق على أفواج سياحية في روما وفق تعليمات المخابرات المصرية وفي الشركة السياحية وجدت بعض المجلات و الصحف و وقعت عيناي على صورة إيلي كوهين فقرأت المكتوب أسفل الصورة (الفريق أول علي عامر و الوفد المرافق له بصحبة القادة العسكريين في سوريا و العضو القيادي لحزب البعث العربي الاشتراكي كامل أمين ثابت) وتذكرته جيداً وكان كامل هذا هو إيلي كوهين الذي عملت معه في مصر و سهرنا معه في إسرائيل و تجمعت الخيوط في عقلي فحصلت على نسخة من هذه الجريدة اللبنانية من محل بيع الصحف بالفندق و في المساء التقيت مع (قلب الأسد) محمد نسيم رجل المهام الصعبة في المخابرات المصرية و سألته هل يسمح لي أن أعمل خارج نطاق إسرائيل ؟ فنظر لي بعيون ثاقبة ٠٠

- مــاذا ؟
- قلت : خارج إسرائيل
- قال : أوضح

- قلت : كامل أمين ثابت أحد قيادات حزب البعث السوري هو إيلي كوهين الإسرائيلي مزروع في سوريا وأخشى أن يتولى هناك منصباً كبيراً ٠
- قال : ما هي أدلتك ؟
- قلت : هذه الصورة و لقائي معه في تل أبيب ثم أن صديقة لي اعترفت أنه يعمل في جيش الدفاع ، أبتسم قلب الأسد و أوهمني أنه يعرف هذه المعلومة فأصبت بإحباط شديد ثم أقترب من النافذة و عاد فجأة و إقترب مني وقال ٠٠
- لو صدقت توقعاتك يا رفعت لسجلنا هذا بإسمك ضمن الأعمال النادرة في ملفات المخابرات المصرية ٠

وعقب هذا اللقاء طار رجال المخابرات المصرية شرقاً و غرباً للتأكد من المعلومة وفي مكتب مدير المخابرات في ذلك الوقت السيد صلاح نصر تجمعت الحقائق و قابل مدير المخابرات الرئيس جمال عبد الناصر ثم طار في نفس الليلة بطائرة خاصة إلي دمشق حاملاً ملفاً ضخماً وخاصاً إلي الرئيس السوري أمين الحافظ ، و تم القبض على إيلي كوهين وسط دهشة الجميع وأعدم هناك في ١٨ مايو ١٩٦٥ ٠

<u>من أوراق الموساد</u> :-

يقع " الموساد " في مبنى عادي في شارع " الملك شاؤول " في تل أبيب و تطلق عليه وسائل الإعلام الإسرائيلية أسم (عين داود الثاقبة) و تم تأسيس الموساد قبل إنشاء دولة إسرائيل بنصف قرن تقريباً ، وجاء مواكباً للقرار الذي اتخذ في مدينة " بازل " السويسرية خلال

أغسطس ١٨٩٧ أثناء اجتماع المؤتمر الصهيوني الأول برئاسة تيودور هرتزل ٠٠ ففي عام ١٩٠٧ أنشأ الحزب منظمة عسكرية من اليهود الأوروبيين تسمى (بارحبورا) ثم تأسست الوكالة اليهودية عام ١٩٢٣ بقرار من المؤتمر الصهيوني الثالث عشر وهي الوكالة التي أخذت على عاتقها تنشيط هجرة اليهود من جميع أنحاء العالم إلي فلسطين بشتى الوسائل ٠

وفـــي عام ١٩٣٠ تم تشكيل منظمة الهاجانا (الدفاع) العسكرية شبه القانونية و كان هدفها المعلن هو الحفاظ على موطن اليهود القومي ثم دخلت تحت وصاية الوكالة اليهودية التي تشكلت بعدها بثلاث سنوات و شكلت الهاجانا فيما بعد قوام جهاز المخابرات الإسرائيلي الحالي "الموساد " ٠

ومـــن خلال الهاجانا تكونت منظمة سرية خاصة سميت مكتب المعلومات (شيرّوت يهوديوت) عرفت باسم (شاي) و في عام ١٩٣٧ انشأت الهاجانا أيضاً منظمة (موساد لي البافي بيت) أي (مكتب الهجرة) و اسمها الأول (موساد) هو الأسم الذي استعاره جهاز المخابرات الإسرائيلية عام ١٩٥١ ليكون إسمه حينما ظهر لأول مرة بشكل رسمي ، كما ورث أيضاً شبكة جواسيسها ٠

ونظـــراً لتعدد تنظيمات التجسس الإسرائيلية رأت القيادة الصهيونية أن تنشيء جهازاً خاصاً لتنسيق أنشطتها سمي (شيروت إسرائيل) أو (في خدمة إسرائيل) و قد تولى تأسيسه " روفين شيلوح" الذي رأس الموساد بعد تأسيسه رسمياً ، و طبقاً لإحصائية نشرت عام ١٩٩٦ يبلغ عدد العاملين في الموساد نحو ١٣٠٠ إلي ١٥٠٠ شخص من بينهم ٥٠٠ ضابط يعمل الواحد منهم حتى سن الثانية و الخمسين و يحال بعدها للمعاش ويتقاضى ٧٠ % من مرتبه وقتها ٠٠ وللموساد شبكة للعملاء تغطي أنحاء العالم تضم ٣٥ ألف شخص (٣٠ ألفاً عاملون و الباقي في حالة كمون مؤقت) ويتولى الموساد العديد من المهام منها : التجسس ، الاغتيالات ، الحصول على الأسلحة ، التجسس المضاد ، إثارة الفتن ، الخطف ٠٠٠ ألخ

ويتكـــون الموساد من عدة أقسام رئيسية لكل منها دور أو مهمة خاصة بها وتتراوح مهام هذه الأقسام بين جمع المعلومات وتصنيفها ودراسة هذه المعلومات و تقييمها و المراقبة و التجسس و التجنيد و تنفيذ العمليات الخارجية الخاصة من قتل و تصفية ٠٠ ألخ ، إضافة إلي قسم خاص بالتصوير و التزوير و الشفرة و أجهزة الاتصال فضلاً عن قسم خاص بالتدريب و التخطيط ورفع كفاءة العاملين بالجهاز ٠٠ كما يضم الموساد قسماً لمكافحة التجسس و الاختراق و يعتبر قسم العمليات هو أكبر فروع الموساد و مهمته تنظيم نشاط و عمل الجواسيس المنتشرين حول العالم ، و هناك أيضاً وحدة خارجية أخرى تسمى (عل) أي رفيعة المستوى وهي تقوم بجمع المعلومات عن جميع الدول العربية من داخل الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة تعقب البعثات الدبلوماسية ٠

وثمــــة لجنة خاصة بالموساد تجتمع أسبوعيا يطلق عليها اختصاراً (وادات) و هي لجنة تختص بتنسيق السرية و التجسسية خارج وداخل إسرائيل ، ورئيس (وادات) هو رئيس الموساد الذي يطلق عليه زملائه اسم (مأمون) أما أعضاء لجنة (وادات) فهم مدير جهاز المخابرات العسكرية (أجافي مودين) الذي يسمى (أمان) و مدير جهاز الأمن الداخلي الذي يسمى (شيروت بيتاخون كليالت) و يسمى اختصار (شين بيت) أو (شاباك) و مدير مركز الأبحاث الاستراتيجية و التخطيط بوزارة الخارجية المتخصص في التجسس الدبلوماسي ، ومعهم أيضاً مدير قسم العمليات الخاصة لإدارة الشرطة (ماتام) و المستشارون الشخصيون لرئيس الوزراء في الشئون السياسية و العسكرية و شئون المخابرات ومكافحة الإرهاب وخلال هذا الاجتماع الأسبوعي ترسم السياسة الأمنية لإسرائيل داخلياً و خارجياً ٠

كمـــا يضم الموساد أيضاً شعبة أبحاث تشمل خمسة أقسام و ١٥ مكتباً لدراسات الدول العربية و بعض دول العالم الأخرى ، وثمة إهتمام خاص في الموساد بالدول العربية عامة وبدول الجوار بشكل خاص (مصر وسوريا و لبنان والأردن) ومعها السعودية و العراق و الجزائر وليبيا و تونس ٠

وتعتبـــــر مصر بالنسبة للموساد هي العدو الأول لذا كثف نشاطه التجسسي ضدها لسببين :-

الأول : جمع المعلومات في المجالات العسكرية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ، واستخدامها ضد مصر في حالات السلم أو الحرب على حد سواء ٠

الثاني : زرع شبكـــــات لها عن طريق تجنيد بعض المصريين سواء ممن سافروا إلي إسرائيـــل أو الذين لم يسافروا إليها و في حالة قيام حرب بين البلدين تكون لدى إسرائيل قاعدة كبيرة من الجواسيس جاهزة تماماً و مدربة بكفاءة عالية لإمدادها بمـــا تريد من معلومات ، و تشير التقارير إلي ضبط أكثر من ٥٣ شبكة تجسس إسرائيلية في مصر خلال السنوات الخمسة عشر الأخيرة ، و يرأس الموساد حالياً الجنرال " مائير داجان " ٠

لقد شهد الصراع العربى ـ الاسرائيلى حرباً شرسة رهيبة .. حرب بدون بلاغات .. حرب فى الظلام .. حرب بلا رحمة .. حيث المحاربون منفردون وعزل من السلاح .. ولكنها حرب لا تخلو من الأبطال كما أنها لا تخلو من الضحايا .. وأعنى الحرب الخفية بين أجهزة الاستخبارات .. وكان " ايلى كوهين " واحداً من ضحايا هذة الحرب الخفية !

الجاسوس الساحر!

"ايلى كوهين" جالس دون حركة فى قفص الاتهام ، وحيداً أمام القضاة ، معتدل الظهر ، منتصب العنق ، ومن آن لآخر تهزه حركة عصبية ، وفى وجهه الشاحب المتعب بقى نظره ثابتاً ، وتبدأ الآن قضية طويلة ، سفر طويل فى طريق الموت ، وايلى كوهين ينظر الى القضاة دون أن يرمش .

- " ما اسمك ؟ " يسأله رئيس المحكمة .

- " اسمى الياهو شاوول كوهين ، ولدت فى الاسكندرية .. "

ايلى كوهين وحيد أمام القضاة ، وحيد مع حقيقته ، وحيد مع ماضيه ، أصدقاؤه القدماء ـ المتهمون أيضاً ـ تجاهلوه فى محاولة لانقاذ أنفسهم ، القضاة الذين يحاكمونه ينتمون إلى بلد عدو ، عائلته ورؤساؤه بعيدون ، غير قادرين على مساعدته .

ايلى كوهين ليس الا كبش الفداء لقضية أوسع ، اليوم ـ ٢٨ فبراير

للفكر الارهابى لزعماء دولة العصابات

سنة ١٩٦٥ - بحاكم كضحية ، لقد
وقع فى قبضة المخابرات السورية التى حققت معه بقدر ما أمكنها . هـذه
الاجراءات ، هذه المحاكمة ماهى إلا من باب المظاهر ، لمجرد إعـلام
الجمهور وتحريك الشعور . الأجوبة التى سيدلى بها معروفة مسبقاً وكذلك
الحكم الذى سيصدر .

- " من أنت ؟ ماذا فعلت ؟ لماذا ؟ وكيف ؟ "

- " ولدت فى الاسكندرية بمصر فى ديسمبر ١٩٢٤ . اشتغلت محاسباً ،
وأنا الآن مستخدم فى ادارة المخابرات الاسرائيلية .. "

اسئلة وأجوبة لاتعطى إلا صورة جافة لحياة انسان ، إن الذكـرى
وحدها هى التى يمكنها أن ترد الحياة لهذه البيانات المقتضبة مـن
الاستجواب : " ايلى كوهين . من كنت ؟ " ..

عادة فى دمشق يكون الطقس جميلاً فى الأيام الأخيرة من شهر يناير ،
السماء زرقاء ولكن زرقتها خفيفة لم تبلغ بعد زرقة الصيف العميقة . دمشـق
بلد حدائق ، محاطة بالخضرة ، هواؤها الصافى ملئ بالروائح العطرية ،
والشمس معلقة أمام هـذه الستـارة الزرقـاء . حى أبو رمانـة

الراقى ، مقر الدبلوماسيين وكبار البورجوازيين ، هادئ فى الساعة الثامنة صباحا . أبلى كوهين قام من نومه ، ويتمتع بالسكون.

لايزال اسمه "كمال أمين ثابت" إنه يقطن فى شقة فسيحة مؤثثة بالأثاث الفاخر على الطريقة الشرقية التى يكثر فيها السجاجيد .

شئ غريب . إن هذا الرجل الغنى ليس عنده خدم .. " واللـــه ياعزيزى ، لابد أن هذه نزوة أعزب " .. إن ثابتا يعيش عيشة جنونيـــة ولذيذة . نفقاته كثيرة وأصدقاؤه أكثر !

ثابت جالس على السرير فى هذا السكون . أمامه آلة ضخمة لاسلكيـــة للارسال والاستقبال ، يحرك فيها بعض الأزرار ويسجل باعتناء ما يبلغـــه فى السماعات .. فجأة تحدث ضجة كبيرة تفزعه ، لقد كسر باب الشقـــة ، ولم يكد يقوم من جلسته حتى احتضنه شرطى عملاق ، لم تصدر منه أى حركـــة مقاومة . غير أنه أبدى اندهاشه : "مامعنى هذا ؟ ما الذى جـــرى ؟" . أمامه ضابط ينظر اليه بانتباه ودون كلمة ، حركة خفيفة ترجف فى ركن شاربـــه هى الاشارة الوحيدة لما يتصف به من حدة شديدة متوترة " مـــاذا يا مأمور ؟ أهذا نوع من المزاح ؟ إنى مغترب عائد محترم ولست مجرمـــا " لاجواب .. وفى أثناء قيـــام العملاق بجذب "كمال أمين ثابـــت"

يلمح الضابط ورقة على المنضدة أمام السرير ، الورقة بيضاء غير أنها تحمل جملة واحدة غير كاملة : " نريد معلومات تكميلية عن .. "

لم يعد لدى كمال أمين ثابت أى شك فيما ينتظره ، فقد أسفر التفتيش الدقيق فى شقة هذا الأرجنتيني المزعوم العائد لبلده عن اكتشاف آلة لاسلكى أخرى مخبأة فى نجفة ، وأقلام معدة للطبع ، وحبر سحرى ، ودفاتر شيكات على بنك سويسرى ، وكمية من أقراص سم السيانور ، أى الجهاز الكامل للعميل السرى الممتاز ، كيف يمكن الانكار ؟ ان الادلة ساحقة ، وهاهو ايلى كوهين يدخل فى طريق الاعترافات .

دارت اشاعات كثيرة عن تعذيبه عندما قبض عليه ، لاشك أنه حاول أن يتكلم أقل مايمكنه ، وأن الطرق المعتادة فى البوليس والمخابرات لاجبار المتهم على الكلام قد استعملت معه ، لاشك أنه قد ضرب وتم استجوابه طويلا بطريقة مؤلمة ، ليس فى مقدور الانسان أن يقسم بأنه سوف يبقى صامتا تحت التعذيب ، ربما ايلى كوهين لم يعترف الا بأقل قدر معقول ، ربما يكون قد نجح فى التغرير بالسوريين الى ان يتكفل اعدامه باخفاء هو وأسراره ، كان تكريم اسرائيل لجاسوسها بعد اعدامه يفوق التكريم الذى يؤدى عادة لمن يقدمون حياتهم للوطن . فهل كان ذلك شكراً وتقديراً لما تمكن ايلى كوهين من اخفاء وانقاذه ؟!

على أي حال ، ان ايلي كوهين مائل امام القضاة ثلاثة أسابيع بعد القاء القبض عليه ، ثلاثة أسابيع مرت فى التنقلات المتتابعة بين ثكنات الحميدية ، مقر القوات المدرعة بدمشق ، ومبنى الأمن الوطنى والخدمات الخاصة ، وكانت التحقيقات تستهدف مجموعتين من الأهداف : من ناحية الحصول على أوفى المعلومات عن تصرفاته وتدريبه وتكوين الجهاز السرى الاسرائيلى وأسماء شركائه المحتملين ، ومن ناحية أخرى الحرص على أن يمتنع ايلى كوهين من الإدلاء أمام المحكمة بأكثر مايلزم حتى لاتفلت منه اعترافات خطيرة على بعض السوريين !

وهو يتذكر أن رؤساءه قد قالوا له يوماً فى اسرائيل : " فى حالة القبض المفاجئ ، عليك أن تمثل الانهيار ولا تقاوم إلا شكلياً ، بالاختصار اجعلهم يعتقدون أنك لم تعد تتحمل الالام ، إحذر كذلك الارهاق النفسانى ، فانه أقوى من التعذيب الجسمانى .

كان كمال أمين ثابت موجوداً فى دمشق منذ أربع سنوات ، كان يتردد على كواليس السلطة وكان مسموعاً لدى أولى الأمر ، كان ينظم استقبالات باهرة حافلة بمضيفات جميلات وراقصات من الكاباريهات وكلهن جميلات والكولونيل " صلاح الدالى " كان من أصدقائه ويشترك فى هذه المسرات !

الكولونيل صلاح الدالى هو رئيس المحكمة التى يمثل أمامها ايلى كوهين ، واثنان من القضاة فى هذه القضية الرنانة كانا أيضا من الذين يترددون على صالون كمال ثابت ، وكذلك وزراء ، مثل "محمود جبهر" المسئول عن الدفاع ، و "عبد الكريم جندى" المسئول عن الاصلاح الزراعى ، وكان هناك آخرون من أصدقاء ثابت موجودون فى صفوف المتهمين ومن بينهم ابن أخ رئيس أركان الحرب السورى!

أما ايلى كوهين فهو يتجاهل أصدقاء ثابت السابقين ، الآن وقد ثبت أنه عميل اسرائيلى ، فانه ينطوى على نفسه ، ولما سأله الكولونيل صلاح الدالى اذا كان يعرف أى واحد من أعضاء المحكمة أو من الموجودين فى الجلسة ، هزّ ايلى كوهين رأسه بالنفى وأجاب "لا"

ورغم أن هذا الجاسوس كان قد خدم اسرائيل ، وكر الصهيونية البغيضة ، فان اجاباته كانت فى بعض الأحيان تثير ضحك أهل دمشق كافة ، ان الشعب العربى الطيب الذى يتذوق الكوميديات الناجحة التقليدية فى قصص "الف ليلة وليلة" لايسعه إلا أن يقدر المهارة التى مكنت هذا الجاسوس من أن يخدع السلطات لمدة أربع سنوات طوال ، وكانت الصحافة تعبر عن الاعجاب الذى شعر به هذا الشعب امام شجاعة العميل الاسرائيلى ودقة ذهنه ، فكانت تطلق عليه اسم "الجاسوس الساحر"!

كان التليفزيون السورى يذيع بعض جلسات هذه القضية ولكن يدى ايلى كوهين لم تظهرا فى الصورة أبداً لأنهما كانتا بغير أظافر ، فقد انتزعت أظافرهما واحداً واحداً .

كما أن الذين عرفوه من قبل لاحظوا تغيير شكل ذقنه ، فقد انتزعت أسنانه أيضاً ، ويقوم ايلى كوهين بحركة عصبية ، حركة جديدة تشد عضلات وجهه ، فقد حدث أثناء استجوابه أن سلطوا تيارا كهربائيا على أنفه لحمله على الاعتراف !

ايلى كوهين وحيد أمام القضاة ، فقد رفض منحه مساعدة أى محام للدفاع ، وذلك رغم أنه كان قد عين له إثنان : الاستاذ "جاك مرسييه" الذى لايمكن أن يعتبر عدوا للعرب اذ كان قد ترافع فى قضايا عديدة لصالح الجزائريين بين سنتى ١٩٥٤ و ١٩٦٢ وكانت عائلة كوهين التى يقيم بعض أعضائها فى باريس هى التى كلفته بالدفاع عنه، وقد طلب الاستاذ مرسييه مساندة صديقه نقيب المحامين "بول أريجى" المعروف باستقلال آرائه ، وهو مثل مرسييه ، من رجال المقاومة والمجاهدين لصالح الشعوب والأفراد المضطهدين ، وكان أريجى يساند مرسييه بدراسة ملف القضية معه ، أما مرسييه فقد سافر مراراً ، بدون جدوى ، من باريس الى دمشق .

فقد قيل لهما ان القانون السورى صريح وهو ينص علـــــى أن الجواسيس الأجانب المتهمين بافشاء أسرار تمس الدفاع الوطنى ليس لهـم الحق فى أى مساعدة للدفاع عنهم، وقد عمل أقصى مايمكن عمله لتخفيـف هذا الحظر، كما قام الاستاذ "فالتر" القانونى البلجيكى والعضـو فى اللجنة الدولية للدفاع عن حقـوق الانسان ، بالسفر مرارا الى دمشق لهذا الغرض . وتدخلت شخصيات عظيمة من عدة بلاد ، منهـم كرادلـــة وأدباء وشيوخ ونواب . لم يتزعزع رفض السلطات السورية التى لم تؤثر فيهـا حتى الاحتجاجات ، والامر جلى على مايبدو . فان السوريين يخشـــون تصريحات ايلى كوهين عند مقابلاته مع محامى الدفاع أو نقل رسالـــة بواسطتـــه . إذن سيبقـــى ايلـى كوهين فى زنزانتـه دون أى إتصـال بالخارج !

لم يتألم كوهين كثيراً من انتظار الحكم ، فانه يعرفه مقدماً ، ولكـن أصعب شئ بالنسبة للانسان فى مثل هذه الحالات هو الانعزال ، الوحدة . لا أقارب ، لا أصدقاء ، لاعون ، فقط أسئلة ثم أيضا أسئلة ، إنســان وحيد على كوكب خال !

لما بدأت المحاكمة كانت الجلسات الأولى سرية ، ولكن ذلك لــم يمنـــع الصحافــة اللبنانيـــة من نشـر بيانات وافية عنهـا بعد بضعة أيام.

ايلى كوهين فى قفص الاتهام وحيد ، يختلف كل الاختلاف عن سائر المتهمين المقدمين للمحاكمة ، انهم ثلاثون ، وقيل انه قد تم القبض على مايقرب من ٥٠٠ شخص واستجوابهم بمناسبة التحقيق فى هذه القضية ومن بين المتهمين توجد بعض السيدات الشابات وهن سكرتيرات و إداريات موظفات فى راديو دمشق أو فى التليفزيون ، ومضيفات جويات ، كان ثابت قد عرف كيف يستحوذ على رضائهن بكرمه ، وكيف يحصل منهن على معلومات وصور خطابات ومستندات • لم تكن شبكة تجسس ، بل كانت اكثر وأ فضل من الشبكة ، كانت شريحة من المجتمع الدمشقى !

—•—

ذكريات من الاسكندرية

سكت ايلى كوهين لحظة بعد أن أدلى بشخصيته ، كان صوته ضعيفاً وملامح وجهه تدل على إنهاك قواه ولكن نظره كان ثابتا ويلمع أحيانا بقـوة وانتباه ، ثم مال الى الامام وبصوت متردد قال : " سيدى الرئيس ، إنـى أريد محاميا " !

ايلى كوهين يعلم جيداً أنه لن يجاب إلى طلبه غير أنه يلعـب دوره ، دور الجاسوس الذى يشعر بضياعه ووحدته وانعزاله عن كل عـون ولكنه يحاول يائساً إنقاذ نفسه ، يجب عليه أن يتقدم بهذا الطلب مع علمه بعدم جدواه .

- " ماذا ؟ محام ؟ "
- " نعم ، ان كان ذلك ممكناً " .

ويتظاهر رئيس المحكمة بالاندهاش .. لابد أن يقضى على آمال هذا الجاسوس الصهيونى ، ويجيبه فى الحال بكل خشونة : " حيـث أن

الادعاء يتركز على تهمة التجسس فان المحكمة ترفض طلبك ، ومع ذلـــك
ياكوهين فان عندك محامياً مدافعاً مدوياً ، إن الصحافــة المأجورة كلهــا
في خدمتك " .

وانتهى الأمر ، أنه واضح ، ايلي كوهين يعرف الآن أنه لن يكــون
له محام، كان عليه أن يطلب هذا الطلب بغية إحراج السلطـــات
السورية ، ولكن شيئاً من هذا الحساب لايبدو علـــى
وجهه بل انه يتظاهر باليأس .

ويعود الرئيس الى الاستجواب ، يطلب تفاصيل عن معيشة ايلـــى
كوهين السابقة ، عن طفولته وشبابه وتعليمه في مصر .

" هاجر والدي من حلب قبل الحرب العالمية الأولى ، استقر أهلـــى
في الاسكندرية حيث ولدت ، بدأت دراستي في مدرسة الطائفة اليهوديـــة
وتابعتها في جامعة فاروق ، في سنة ١٩٤٨ بعد حملة فلسطين ، هاجـــر
اثنان من اخوتي وشقيقتي الى اسرائيل ، وتبعهم والدي ، أختي "أوديت "
تزوجت " كرمونا " واستقرت في " باث يام " وشقيقي "عزرا " يقطـــن
فيها أيضا " .

صوت الجاسوس منخفض لكنه ثابت وهو يتحدث بالساعـــات أمام

الحكمة ، وفى روايته عن معيشته السابقة شئ من الآلية ومن الشعور بمأس الموت ، انه ليس من السهل أن يستمر فى التمثيل وهو يعانى الآن مأساة الموت فى حين تطفو الذكريات من قاع ذاكرته .

الاسكندرية .. كانت الحياة فيها حلوة وجوها كان مشبعًا باللذة ، وقد فضل ايلى كوهين أن يبقى فيها ، فى حين كان غيره من اليهود يسافرون لبناء الوطن اليهودى وسط الرمال ، كان يحب الدرس والهدوء ، إلتحق بجامعة فاروق ، كان يريد أن يصبح مهندسًا ، كانت عائلته قد سافرت الى اسرائيل ، كان يتأثر من سماع مايحكى عن "مولد اسرائيل" ولكنه لم يكن يتحمس له . كان يتصور الحياة الخشنة ، المدن الجديدة ، معيشة المعسكرات وأيضا الأصل والعادات الغربية للطبقات الحاكمة ، ان الحياة فى مصر حلوة ، كان له فيها عاداته وأصدقاؤه واتصالاته الطيبة ، ان التحفظ الذى يتحلى به والممزوج بشئ من الغموض كان يجلب له تقدير الرجال وشغف النساء ، الوطن هو المكان الذى يشعر فيه الانسان بالسعادة ، انه كان يحب مصر ولكنه لم يتنكر لأصله ، إلتحق بالمدرسة الكهنوتية التى كان الحاخام يديرها ونجح فيها بتفوق !

كانوا يهمسون أن أرملة غنية كانت خليلته ، إنها صاحبة محل لتجارة الملابس الداخلية فى شارع "المسلة" بالاسكندرية ، كان عمره ٢٤ سنة

وكانت هى تكبره فى السن ، وضعت هذه العلاقة نهاية للصعوبات المادية التى كان يعانيها فى معيشته السابقة ، قبل ذلك كان مضطراً للعمل كمساعد محاسب ليغطى نفقاته المدرسية.

حقا ، ان جو السعادة الهادئة التى كانت تسود مصر قبل سنة ١٩٤٨ قد زال ، كثيراً ماكان والده يذكر جو التسامح والكرم الذى كانت تمتاز به مصر التى كانت أقل البلاد العربية تعصبا فى الشرق الأدنى . وليس أدل على ذلك من أن " لاتريبون جويف " (المنبر اليهودى) وهى مجلة صهيونية كانت تصدر وتقود حملة للتقرب بين الصهيونية والبلاد العربية دون أن تزعجها السلطات المصرية، كانت تنشر المقالات والرسائل والآراء الحرة لقادة وشخصيات بارزة تحبذ السلام والتآخى بين اليهود والعرب ، ولم توقف هذه المجلة الا فى سنة ١٩٤٨ حين اعتقل رئيس تحريرها " جاك رابين "....

وأخيراً أصبح ايلى كوهين وحيداً فى المحكمة كما كان وحيداً فى مهمته ، ان الأعمال التى اتهم بها سامى عازر لاتذكر أمام ما فعله هو ، فقد بقى أربع سنوات فى دمشق تحت اسم كمال أمين ثابت ، يقوم بعمله كالذئب المتوحش الوحيد ، يتسلل فى جميع الأوساط ومن حوله آذان صاغية .. كان وحيداً .. ولكنه قام باحدى الخدعات الكبرى فى تاريخ الجاسوسية !

مولد جاسوس !

ان الزمن لا قيمة له عندما تقاس الحياة بمقياس العدالة السياسية . ايلى
كوهين يعيش " مع ايقاف التنفيذ " يهمس فى انتظار الموت . لقد ساقه القدر
الى دمشق حيث تدور محاكمته عن جرائم لم تعد تهمه .. ان الواقع يصطدم فى
وعيه كما تصطدم النحلة على لوح زجاج . انه يشعر كأنه يحلق فى فضاء
خيالى ، فضاء الذكريات دون اعتبار للزمن . ولكن كيف نسجت خيوط هذا القدر
الغريب ؟ انه لم يكن يريد مغادرة مصر ، لم يرغب أبداً فى مغادرتها : "إن
كنت قد سافرت يا سيدى الرئيس ، فلأنه لم يكن فى مقدورى البقاء فى مصر "

رأينا كيف أن عواصف السياسة قد ازعجت حياة كوهين الهادئة ، من
بعد قضية شبكة التجسس الصهيونى كان اسمه على القائمة السوداء لادارة المخابرات
المصرية ، حقيقة أنه أثبت براءته وأفرج عنه ولكنه كان مشبوهاً ، وقد صاحبت
هزيمة سيناء فى سنة ١٩٥٦ موجة اعتقالات ، كان ايلى كوهين من بين
الذين تم اعتقالهم باعتبارهم يهوداً خطرين .
هكذا .. هى الظروف التى قذفت
به خارج مصر ، إنه فى الواقع لم يكن يعرف الى أين يذهب ولكن السلطات هى

التى اجبرته على تقديم طلب للهجرة الى اسرائيل ، وطرد فى سنة ١٩٥٧ ، لم يكن امامه الا حل سريع : أن يلحق بأسرته تنازل رسمياً عن جنسيته المصرية واخرج من معسكر الاعتقال واقتيد الى ميناء الاسكندرية بين شرطيين وبالقيود فى يديه . أبحر على باخرة متجهة الى ايطاليا ، وعندما رأى أرض مصر ، التى أحبها بشغف ، تختفى رويداً ، أحس بتمزق داخلى وبالدموع تملأ عينيه ، كان فى وسط البحر بين قارتين وأمامه اوربا ومستقبل لم يتلون بعد !

وصل الى نابولى ذات الوجه المزخرف ، بسمائها الزرقاء وبالاهالى الذين يملأون أرصفتها ، وعساكر المرور - بقفازاتهم البيضاء الطويلة - الذين يوجهون السيارات كما لو كانوا يقودون فرقة موسيقية . لم يكن لديه متسع من الوقت ، كان عليه أن يذهب أولاً الى الوكالة اليهودية لاتمام الإجراءات اللازمة .

بعد يومين كان يتريض على سهل فى حوارى نابولى المرحة التى كان يشبهها بحى العطارين فى الاسكندرية " سانتا لوتشيا " على خليج نابلى تذكره بضاحية الشاطبى التى كان يلعب على شواطئها فى أيام طفولته ، ولكنه كان يلاحظ أن هناك مزيداً من الحركة والنشاط ينبض فيها .
مكث فى نابولى بضعة اسابيع ليكشف جمالها وجمال بناتها ، وبعد ذلك ذهب الى جنوا ومنها أبحر الى حيفا ، كانت المبانى المرتفعة على جبل الكرمل أول ما رآه من اسرائيل ، وبعد الإنتهاء من الاجراءات الإدارية ركب الاوتوبيس إلى

تل أبيب وتوجه الى باث يام حيث تقطن شقيقته اوديت •

بعد الترحيب بوصوله اضطر كوهين للتفكير فى البحث عن عمل ولم يكـــن
ذلك بالأمر السهل • كان يشعر بالضياع فى هذا البلد الذى لم يعجبه والـــذى
لم يكن يفهم عقليته • لم يكن معتاداً سماع اللغة العبرية ، ومعاملة الاهالى الخشنة
كانت تصدم شعور الرقة والذوق المصرى الذى كان محتفظاً به كأنهم يقولون لــــه
فى كل لحظة : " لا كلفة ، لا ذوقيات ، إننا هنا رواد ونريد فعالية ، الوقـــت
من ذهب " إن احترام الشخص فى اسرائيل يكمن فى موقفه أمام الحياة ، الاسرائيليون
ـ مثلهم مثل كل الذين يقومون بالبناء ـ لا يملكون وقتاً للمجاملات ، إن الحياة
ليست سهلة ، يجب عليهم أن يكسبوها بالعمل مع تركيز الفكر على الهدف فـــى
مجهود عنيد •

حقيقة ، لم يعد احد يقول له : " يهودى قذر ـ اذهب ـ انك لســت
فى بلدك
إلا أنه
يحتاج الى وقت ليتأقلم • فوق ذلك كان يحتاج لمساعدة عائلته وهذا ما ضايقـــه
فى حبه للسكون والوحدة • كان يزيد انطواء على نفسه حتى ان تحفظه الطبيعـــى
تحول الى نوع من الغطرسة لم يكن أحد يلتفت اليها •

وجد عملاً فى تل ابيب فى مقر اتحاد اليهود المصريين وهو منظمة تهتـــم

بتشغيل الاسرائيليين القادمين من مصر . كان سكرتير الاتحاد زميـــلاً قديماً له في الدراسة ، أعطاه عنواناً وقال انه قد يجد هناك فرصة طيبـــة للعمل .. هناك في شارع " اللنبى "..

وشارع اللنـــبى

هذا هو أهم تلك الشوارع الطويلة التى تمتد في تل أبيب و ينســاب حتى البحر ، به المتاجر الفخمة بواجهاتها الملأى بالمعروضات . فـــى المقاهى تدور المناقشات بنشاط ، وفي هذا المقهى الكبير على ناصية شـــارع " روتشيلد " يجتمع السماسرة ووكلاء العقارات ، ومن الناحية الأخـــرى يجتمع المحامون ورجال الاعمال ، وهنا في هذه السينما الصغيرة مركـــز للمعاملات المشبوهة ووكر للمرشدين للبوليس ، وهناك حول الميـــدان المزدحم ، حيث يصب السوق المكشوف ، مجتمع البائعين الذيـــن ينادون على بضاعتهم من خضر وفواكه . ثم صالة سينما أخرى ومقهـــى حيث تجهز القهوة في الالات الاوتوماتيكية وبجوارها بار صغير حيـــث يلتقى الأحياء ، بعد ذلك ، يوجد " المغربى " ومطاعمه الشرقيـــة وأخيرا من ناحية الكورنيش المحلات الكبيرة لتجارة الاثاث ومبـــنى الاوبرا الكبير الذى كان مقراً للكنيست في عهد الانتداب البريطانـــى ، ثم بعض الفنادق الصغيرة التى تختبئ مداخلها تحت " البواكى "!

كان ايلى يتمشى لأنه متقدم عن ميعاده والطقس جميل جـــداً .

توقف فى أحد أركان الشارع واشترى " ساندويتش فلافل " وهى كرات صغيرة من الحمص مقلية فى الزيت ومحشوة فى رغيف صغير مستدير ، وقال فى نفسه أنها لاتضاهى الفلافل المصرية المصنوعة من الفول ، ولكن .. فليكتف بالموجود ، وشرب كوبًا من البيرة ثم توجه نحو العنوان المقصود : وهو مبنى كبير نوافذه قليلة جدًا لتفادى الحر فى شهور الصيف الطويلة .. دخل فيه ، الدور الثالث ، قاعة جلوس فيها شخصان منتظران ، وفى ركن من القاعة سيدة شابة تعالج أزرار جهاز تليفونى ، قدم لها كوهين الرسالة التى كان يحملها ، قرأتها وتكلمت فى التليفون الداخلى ثم تحولت نحو ايلى وأشارت الى أحد الأبواب فى القاعة وقالت له : " ادخل " دخل فى حجرة كبيرة بها مكتب ومنضدة وعدد من الكراسى ، قابله رجل قصير قام من مقعده ، وفتح بابًا آخر وأشار اليه بالدخول ، كانت الغرفة الثانية طويلة وضيقة ، بها نافذة كبيرة يتدفق منها النور ، وخلف مكتب كبير ، رجل يبدو أنه هو المدير ، ذو وجه صارم وقوام عسكرى ، يبلغ الأربعين من عمره ، سلم عليه بيد قوية وقدم له سيجارة ، وكان يتفرس فيه وهو يوقد له السيجارة ، ثم استند على كرسيه وأخذ يسأل كوهين عن مصر !

" أتجيد اللغة العربية " ؟

أجاب كوهين بابتسامة : " إختبرنى ".

لم يجبه المدير بل استمر فى فحصه بنظره الحاد وهو يدخن سيجارته ثم قال له أخيرًا : " قد يوجد لك عمل هنا ، ترجمة جرائد عربية • أرجوك أن تتبعنى " وعادا الى الغرفة الأولى حيث قال المدير للرجل القصير " مسيو كوهين سيقوم بترجمة مقال من جريدة عربية على سبيل التجربة " •

أحنى الرجل رأسه باحترام فوق رقبته الغليظة وكتفيه العريضتين • وجلس كوهين امام المنضدة الصغيرة ومعه بضعة أفرخ من الورق وقلم حبر جاف والجريدة المصرية " الاهرام " الصادرة فى صباح نفس اليوم • كان كوهين يجيد اللغة العربية إجادة تامة ولكن المامه بالعبرية كان ضعيفًا ، وقد لاحظ السكرتير ذلك ، فعادا فى الحال الى المدير ، وكان كوهين يجد صعوبة لتتبع حديثهما العبرى السريع ، وأخيرا تم تعيينه على أن يقوم بفرز الجرائد العربية اليومية والاسبوعية والنشرات الدورية • لم يكن يعمل فى المقر الرئيسى (مكتب استيراد وتصدير) بل فى مبنى كبير فى شارع هادئ من ضواحى تل ابيب ، كان يذهب اليه كل يوم ليفرز الصحف ، بعد عبوره المدخل الذى كانت الحراسة عليه شديدة !

الكولونيل صلاح الدالى كان يتتبع باهتمام هذه الرواية ، وسأل كوهين كيف كانت هذه الجرائد اللبنانية والاردنية والمصرية تصل الى اسرائيل ؟ وكوهين كان يبدو كأنه يصحو من حلم أو من رؤيا داخلية كلما اضطر للاجابة

على أسئلة رئيس المحكمة ٠

" لم أحصل على أية تفاصيل ، لقد قالوا لى فقط أنى مستخـــدم مؤقت فى أحد أقسام الجيش الاسرائيلى ٠٠ لا أدرى إن كانت الجرائـــد السورية تأتينا ، لم أكن أراها أبدا ، كنت أتصفح الجرائد المصرية خاصة ، ولم أكن الوحيد ، كان زملائى اسرائيليين من أصل عراقى أو مصرى ، كنت اشتغل مع ثلاثة موظفين آخرين يقومون بترجمة المقالات التى كنت أؤشر عليها ٠ لم يكن أحد منهم يرتدى الملابس العسكرية ٠٠ رئيس القسم كان إسمـــه "اسرائيل" كنت أتقاضى ١٧٠ جنيهاً إسرائيلياً ٠٠ غير أنه قد تم تخفيض عدد المستخدمين بعد مدة ، ولما كنت أحدث واحد بينهم فإنى فصلـــت من العمل "٠!

على أى حال ، لم يكن هذا المرتب كافياً ليضمن له الحياة المريحة التى كان يصبو اليها ، مائة وسبعون جنيها ٠٠ فى حين ان الرجل الأعزب كان يحتاج الى ٢٥٠ ليمكنه العيش فى المدينة ٠٠ انه مصمم علـــى أن لا يبقى عالة على أسرته ، انه سيعمل جديًا لرفع مستواه فى اللغة العبريـــة وسيلتحق بفصل محاسبة ، بعد بضعة أسابيع وجد عملاً مربحًا فى جمعيـــة تعاونية لبيع الأدوات المنزلية ، ونجح فى عمله الجديد وكان علـــى وشك تعيينه مفتشاً على فروع الجمعية عندما اصطدم من جديد بضـــرورة

إجراء تخفيضات فى ميزانية الشركة ووجد نفسه مرة أخرى بدون عمـــل ،
وكانت الصدمة شديدة ، خاصة وأنه كان قد تزوج فى هذه الاثناء ، كانـت
زوجته من أصل عراقى واسمها "نادية مجلد" إنه عاطل وعليه ديون لأنه كان قـد
أثث شقته بالتقسيط ، انه يصحو من حلم جميل .. زواجه ، سفرهمـــا
الذى كسبه بورقة " يانصيب " لشهر العسل على شاطئ البحر الأحمر ..
ويزيد من بؤسـه أن زوجتـه كانت حامـلاً واضطرت لذلك الى أن
تترك عملها كممرضة .

تلقى بعد مدة رسالة من أحد زملائه الذين كان يعمل معهم فـى
فرز الجرائد العربية لحساب وزارة الدفاع ، اسمه " زالمان " يخـبره
بأنه يود أن يعرض عليه عملاً قد يناسبـه ويطلـب مقابلتـه فـى
اليوم التالى .

كان كوهين جالساً فى مقهى " فيريد " ينتظر زالمان ويشاهد حركة
الشارع النشطة المرحة ، ويقع المقهى على ناصية شارعى هامين يطلـق
على أحدهما " شانزيليزيه تل ابيب " كان كوهين ينصت الى العصافـير
تشقشق والاطفال يلعبون فى الميدان ، كان يقال أيضا عن مقهـى
" فيريد " انه مقهى " الهيستادروت " أى مركز النقابـات الاسرائيليـة
الذى يشبهونه " بالكرملين " ويهمسون بأنه ملتقى العملاء السريـين
وغيرهم من المرشدين !

حضر زالمان وجلس مع كوهين بعد التحيات وأخذ يتحدث معه عن أشياء شتى وهو ينظر اليه متعجباً من قدرته على الانطواء ، طلب زالمان زجاجة من البيرة وبعد أن شرب منها كوباً دخل مباشرة فى الموضوع: ان المسئولين فى وزارة الدفاع قد لاحظوا فاعلية كوهين وقدرته على العمل ويريدون أن يكلوا اليه عملاً ذا مسئولية، وقد كلف بأن يعرض على كوهين أن يلتحق بخدمة المخابرات الاسرائيلية وفى حالة قبوله يحتمل أن يوفد فى مهمة الى البلاد العربية فى الشرق الأدنى!

شكره كوهين وقال له أنه يقدر هذه الثقة ولكنه يرى أن العمل لا يناسبه ، لقد تزوج الآن وزوجته حامل .. حقيقة أنه محتاج للعمل ولكن مثل هذه الوظيفة لايمكن أن تناسبه فى ظروفه الراهنة!

وقف الرجلان ، وقبل أن ينصرف زالمان وضع يده على كتف كوهين وقال له وهو يبتسم : " تعرف يا إيلى ، انى أخشى أن تبقى بدون عمل لمدة طويلة جداً "!

بعد بضعة أيام ذهب زالمان الى منزل ايلى كوهين، وكان هذا الأخير قد فكر مليا فى موقفه، إنه مازال بدون عمل، وزالمان عاد ليعرض " تجربة ستة أشهر " دون أى ارتباط ، وسيكون مرتبه ٣٥٠ جنيها فى

الشهر وهذا مبلغ لايستهان به ٠٠ وقبل كوهين ، إنه لم يعد يطيق أن يرى زوجته تعيش فى هذا الضيق المادى وهو بغير عمل يدور ويلف فى الشقة ٠ وابتسم زالمان ، ان المخابرات الاسرائيلية عبأت عضواً جديداً وهى تعرفه جيداً ٠ كانت تتبعته وترقبته عن كثب منذ فصله من قسم الاستعلامات السياسية دون أن يدرى.

ما الذى أوعزاليها أن تختار ايلى كوهين ؟

صدق نظره وذكاؤه وذاكرته القوية وفوق ذلك التحفظ الصامت الذى كان من صفاته الطبيعية وأصبح عنده كعادة الحلاقة يومياً ، حتى عائلته لم تكن تعلم تفاصيل ماجرى له فى مصر ، كل ماكانت تعرفه هو أنه اعتقل فى سنة ١٩٥٦ بسبب ديانته ! لم تكن تعرف أنه كان صديق سامى عازر !

ويعود الكولونيل صلاح الدالى يسأل ايلى كوهين كيف يصبح الانسان جاسوساً فى اسرائيل ؟ إنه يريد أن يعرف كل التفاصيل ، وكان نوع من الكراهية يظهر فى كل أسئلته ، ويجيبه ايلى كوهين بصوت رتيب دون أى حركة فى عينيه كما لو كان يلقى درساً طويلاً ، من آن لآخر كانت تعتريه هزة خفيفة فى رأسه ،

كأن الجزء الأعلى من وجهه يترك الفك الأسفل يتدحرج ويقول :

" قادونى الى شقة فى شارع اللنبى بجوار مكتب البريد المركزى، وقام شاب عمره حوالى ٢٥ سنة اسمه " يتزحاق " باختبار ذاكرتى .. ولم يكن يرتدى الملابس العسكرية .. كان يضع على المنضدة أشياء مختلفة يسمح لى بالنظر اليها فترة من الوقت ، ثم يسحبها ، وكان على أن أذكرها وأصفها دون أى خطأ ودون أن أنسى واحداً منها " .

ويسأله الكولونيل الدالى عما اذا كانت هذه الاختبارات قد تكررت كثيراً ، ويجيبه كوهين : " نعم ـ عدة أيام " ، لدرجة أنه كان فى النهاية يمكنه أن يعدد ويصف كل الأشياء بدقة متناهية مهما كانت سرعة سحبها ، إن ذاكرته التى كانت قوية من طبيعتها أصبحت لاتفوقها ذاكرة . ويستمر فى رواية تدريبه ، انه لا يفشى أى سر ، ان كل أقسام الاستعلامات السرية تمتاز ببعض الخصائص التى تتناسب مع عقلية أعضائها ، وبطبيعة الحال الكولونيل الدالى يعلم جيداً أن الاستعلامات الاسرائيلية تنمى الى أقصى درجة الصفات الظاهرة فى أعضائها ، ان هذا حقيقى ، ولكنها تعمل أيضا لتنمية بعض الصفات الخفية التى لم تسمح

الظروف بظهورها . ان كل واحد من البشر يملك مواهب لم تمكنه الحياة من استغلالها ، ويستطرد كوهين :

" كنا نتنزه فى تل ابيب ، أنا وتيزحاق ، كنا نقف أمام كشك جرائد وأتظاهر بأنى أطالع الصفحة الأولى من الجرائد المعروضة فيه ، ولكن كان علىّ أن اكتشف وجود الأشخاص الذين يتتبعونى ، ومرات أخرى كنت أنا أتتبع شخصاً ما ، كنت أنجح فى بعض الأحيان وفى غيرها أفشل ، وكان يتزحاق يكرر التجربة بدون ملل ، ثم بعد أيام يعرض علىّ بعض الصور الفوتوغرافية التى التقطت لنا أثناء سيرنا ، وكان المطلوب منى أن أستدل على الأشخاص الذين تتبعونا والتقطوا الفيلم "!

ويروى كوهين بعد ذلك تدريبه على أعمال الارسال بالراديو الذى استمر حوالى شهر، فى الواقع استمر تدريبه مدة طويلة، وفى بعض الأحيان لم يكن يعود الى منزله بل يستمر فى التدريب طوال الليل ، كان الهدف من هذه المرحلة من التدريب أن يصبح إنسانا آليا لأنه سيصير فيما بعد الانسان الآلى المفكر فى ال " ش. ب " وكان كوهين يستغرب من عدم الاعتناء بتدريبه البدنى ، كان قد مر من الكشف الطبى ووجدت صحته جيدة وهذا يكفى ، ولكنه كان يتساءل كيف يمكنه الدفاع عن نفسه

اذا ما اعتدى عليه ، ولما سأل يتزحلق فى هذا الشأن أجابه بأنه يجب الا يفكر فى ذلك أبداً ، وأن مهمته سوف لاتقتضى مثل هذا الخطر، وكان يربت على جمجمته ويقول له " أنك ستحارب بهذا ".. أى بمخك !

ثم أعطوه جواز سفر فرنسياً باسم مارسيل كوهين ، وأرسلوه الى مدينة القدس ، وكانت التعليمات أن يتصل بعدة أشخاص ولكن عليه الا يتكلم إلا باللغة الفرنسية أو العربية فقط ، كان يصنع لنفسه شخصية جديدة ، وكانت اقامته فى « مدينة السلام » إحدى الفترات الطيبه فى حياته ، أعجبته مدينة القدس ... كان يقضى أوقات فراغه فى السير طويلاً فى شوارعها وكثيراً ماكان يقف عند أسوار المدينة القديمة ، وهنا عند الحدود ، كان يمكنه أن يرى طريق " أريحا " القديم بما عليه من أنقاض ، وبدأ كوهين فى القدس يصبح شخصاً آخر ذهب عدة مرات الى عالم نفسانى كان عليه أن يحكم - بناء على إجاباته - ما إذا كان فعلاً قد بدأ يتجسد شخصيته الجديدة .

ثم أعطوه دروسا أولية فى الدين الاسلامى .. لاشك فى أنه سيسافر الى بلد عربى .

كانت تنتابه بعض نوبات يأس ، ولكنه كان يفكر فى مسئوليته ، فـــى ثقة رؤسائه !

وشيئاً فشيئاً تباعدت هذه النوبات ثم اختفت أخـــيراً .

كان قد أصبح شخصاً آخر وفقد روحه ولم يعد يعمل ويحس إلا بالشخصيـــة الجديدة التى زرعوها فيه !

وقال له الكولونيل الدالى متهكماً : " لابد أن زالمان كان راضيـــاً عنك " !

" نعم ياسيدى الرئيس ، كان راضياً عنى جدا " !

وتتقابل الاسئلة والأجوبة فى قاعة المحكمة بقصر العدالة فـــى شارع النصر بدمشق :

" انى تلقيت علوس فى الصلـــــوات التقليديـــة ومــــن

الفصول الهامة من القرآن على يد قاض مسلم إسمه الشيخ محمد سليمان "٠

— " ماذا علموك بصفة خاصة ؟ "

— " الصلوات الخمس وبعض السور والفاتحة "

— " لماذا كان المفروض عليك أن تدرس ديننا ؟ "

— " لأنه كان سيذكر فى البطاقة الشخصية التى ستمنح لى أن ديانتى الاسلام "

— " وكل ذلك حتى تكون يهوديا صالحا ؟ هه ٠ ليجعلوا منك جاسوسا كاملا ؟ "٠

وينفعل الكولونيل صلاح الدالى ويصعد الدم الى وجهه وهو يميل نحو المتهم ، ويجيبه ايلى كوهين بصوته الرتيب :

— " أكدوا لى أن الديانة الإسلامية تتفق مع الشخصية التى سأنتحلها أكثر من الديانة المسيحية المعقدة "!

— " انك استغللت حتى الاسلام لتصبح جاسوسا ، انتحلت ديننا حتى تخدعنا بأنك مسلم وتدخل سوريا بسهولة ٠٠ يخرب بيتك ...... إن

أسيادك فى اسرائيل قد تناسوا أنهم قد ذبحوا عندما أرادوا إستغـــلال دين الاسلام ، انك نسيت التاريخ أنت أيضا ، هل تعرف التلمود ؟ "

ـ " لا ياسيدى الرئيس "

ـ " كيف ؟ ألم يعلموك التلمود ؟ "

ـ " لا ياسيدى الرئيس "

ـ " والتوراة ؟ هل تعرفها ؟ "

ـ " نعم ياسيدى الرئيس "

ـ " اننا كلنا نعرف التوراه ، ولكنى لا أفهم كيف أنك تجهـــل التلمود ، قل لى : هل هذه تعليمات جديدة من الصهيونية ؟ "

ـ " لا أعلم ياسيدى الرئيس ... "

ـ " يخرب بيتك ... " !

ويبقى ايلى كوهين صامتاً دون حركة .

ـ " كفى ، لافائدة من تعليمك التاريخ ، قل لى : هل والـــدك لايزال حياً ؟ "

ـ " لاياسيدى الرئيس، ان والدى مات فى سنة ١٩٦١ ".

ـ " دعنا نعود الى مسألة الديانة ، انها ليست فقط القيام ببعض الطقوس ، لايكفى أن يقول الانسان : " الله أكبر " حتى يصبح مسلما . هه ؟ "

ـ " أعلم ذلك ياسيدى الرئيس ".

ـ " أنتم أيها اليهود ، مشغولون بالتلمود ولكنكم تجهلون ماهو الايمان ، أنتم ضللتم وانحرفتم عن الطريق السوى لأنكم أنكرتم الدين الصحيح وتمسكتم بالتلمود ، سيأتى يوم نتخلص فيه من عصابتكم الى الأبد ، لن يبقى فى وطننا العربى الكبير أى جاسوس ولا أى عميل أجنبى ، كل الذين يناصرونكم ، كل الذين تعلقوا بالتلمود وأنكروا القرآن سيصيبهم نفس المصير ، سيهلكون جميعا ، سنتخلص منكم دفعة واحدة ان شاء الله ".

ان مثل هذه الاسئلة والتعليقات التهكمية ، تعطى صورة من شخصية الكولونيل صلاح الدالى الذى يرأس المحكمة ..

فهو الخبير الذى يفحص قلب المتهم ويحلل أفكاره!

الرئيس يزمجر ويرعد
وعلى جانبيه القاضيان المساعدان . لم يحضرها أحد الا عن طريق بعض
مناظر التليفزيون التي سمحت بها السلطات، ولا عجب .. انها قضية عميل
صهيوني ، اسرائيلي ، لابد من أن " يحمل
كل خطايا اسرائيل " وفي هذه القضية كان يجب على صلاح الدالي أن
يمثل دور الاستنكار وأن يكون صدى الرأى العام الغاضب لوقوعه في خدعة
هذا اليهودي القذر!

ويستمر الاستجواب لمعرفة كل تفاصيل تدريب الجاسوس . كيف ولد
وكيف تكون هذا الرجل الذي تمكن من كشف أخطر أسرار الدولة في سوريا ،
إن الشخصية الأصلية التي ولد بها (ايلي كوهين) وكبر وأحب بها ،
هذه الشخصية قد خلعت عنه وهي ترقد الآن في مخازن أدوات قسم
الاستعلامات الاسرائيلي ، أما العميل الذي يحاكم الآن في دمشق فهو
شخص آخر !

— " كيف حصلت على إسم كمال أمين ثابت ؟ "

— " بعد أن تلقيت العلوم الأساسية في القرآن والصلوات الاسلامية
أعطيت إسماً جديداً وهو كمال ولقباً جديداً وهو أمين ثابت باعتبار أنه إسم
والدي . أما والدتي فكان اسمها سعدية ابراهيم !

والد ووالدة من ؟ .. الشخصية الأصلية أم الجديدة ؟ كيف يمكن التمييز بينهما ... ثم يقرأ الكولونيل في الملف المفتوح أمامه ويقول :

- " لك أخت أكبر منك سناً ، ولما بلغت سن الخامسة غادرت بيروت حيث ولدت وذهبت مع عائلتك الى الاسكندرية على الشاطئ المصرى ، وتوفيت أختك الكبيرة بعد ذلك بسنة ، كان والدك تاجر أقمشة وفى سنة ١٩٤٦ سافر عمك الى الأرجنتين وشجعكم على اللحاق به ، وقد استقرت عائلتك فى بوينس ايرس فى سنة ١٩٤٧ ، وقد فتح والدك وعمك محلاً تجارياً ولكنهما أفلسا ، توفى والدك فى سنة ١٩٥٦ ولحقته والدتك بعد ستة أشهر فأصبحت يتيماً وتكفل بك عمك وأدخلك فى شركة سياحية ، وكالة " مارادى " حيث كنت مرضياً عنك كل الرضا " ..

ويرفع الكولونيل الجلسة ويستأنفها بعد ساعتين ، ويحكى إيلى كوهين كيف أنه أتم تبديل شخصيته ، ولما تشرب تماما هويته الجديدة ، قابله زالمان لآخر مرة وأخبره أنه يجب أن يستعد للسفر ، كان زالمان قد ذهب اليه فى شقته ، يشرب معه " الكونياك " الاسرائيلى " ويمز " بالزيتون الأسود ، وكان كوهين وحده فى الشقة لأنه بعث بزوجته نادية

عند والديها ، كوهين يسأل زالمان : الى أين سيرسلونه ؟ ويجيب زالمان بعد فترة بلهجة جافة : " ليس لك أن تسأل ، ما عليك إلا أن تطيع الأوامر " يحتفظ كوهين بهدوئه ويقول : " لاتزعل ، أرجوك ، كمل شرحك " ويشرح له زالمان كيف أن شخصاً إسمه " جدعون " سيأتي له في الغد ويوصله الى مطار " اللد " ودعه زالمان بعد أن تمنى له حظاً طيباً واختفى من حياته كما سبق أن إختفى مدربه الأول يتزحاق !

كان ايلي يتساءل كيف سينبئ زوجته بسفره المفاجئ ، يجب الايشتبه أحد من عائلته – ولا حتى زوجته – في طبيعة عمله ، كان يقول لهم انه موظف في شركة تجارية وقد يضطر كثيراً الى السفر ، وكانت عائلته قد استغربت عندما ترك " شاربه " ينمو مما كان يزيد في مظهره الشرقي ، وكان قد قال وقتئذ لشقيقه " افرايم " انه سيحتفظ بشاربه الى أن ينعم الله عليه بولد ذكر !.. وكان قد أنجب بنتاً جميلة أسماها " صوفيا " كيف يفسر الآن هذا السفر العاجل والمفاجئ ؟ سيقول انه موفد الى أوروبا لأعماله ، ولن تدقق معه زوجته ، اذ لم يكن من عادته أن يتحدث عن عمله ، وأنه قد يكون في ذلك ترقية له !

حضر جدعون في اليوم التالي بسيارته وذهبا في الحال الى المطار ،

وسلمه خمسمائة دولار وجواز سفر وتذكرة طائرة ودله على الطائرة التى سيركبها ، وهى المتجهة الى زيوريخ ، وكان ذلك فى فبراير ١٩٦١ ، ولما وصل الى زيوريخ وذهب الى مكاتب شركة الطيران السويسرية ، تقدم اليه رجل اسمه "سالينجر" طويل القامة أشيب الشعر ، ومكث بعض الوقت فى زيوريخ حيث تلقى تدريبا مماثلا للذى تلقاه فى تل أبيب ، وفى ذات يوم سلموه تذكرة طائرة متجهة الى شيلى وكان جواز سفره يحمل أيضا تأشيرة مؤقتة الى الأرجنتين وهى الجهة التى يقصدها فعلا ، وأخبروه أنه فى نفس ليلة وصوله الى بوينس ايرس سيقابل فى مقهى "كورينتاس" شخصا سيتولى مد تأشيرته المؤقتة وتحويلها الى تأشيرة اقامة فى الأرجنتين .

توجه كوهين الى مطار زيوريخ وكان يوم أحد ، وكانت الطائرة الضخمة التى سيركبها أمامه وكأنها طائر كبير أبيض ملطخ بالدم ، وشأنه شأن جميع الشرقيين فقد كان يرى فى ذلك إنذارا مبهما ينبئه بمصيره ، لقد قضى الأمر ، لابد من السفر ، وانتهت الاجراءات وركب الطائرة واستقبلته فيها شابة جميلة وقادته الى مقعده بجانب رجل بدين كاد ينام ، وظهر نور صغير يأمره بربط حزام الأمان وبعدم التدخين .. إنه لايدخن أبدا ، بدأت الطائرة تتحرك الى طرف الممر ، ثم أطلقت سرعتها وأحس بتقبض فى معدته ، وبصوت المحركات القوية يهدأ ففهم أنها ترتفع فى الجو !

كانت هذه أولى رحلاته الكبيرة ، وكان وجوده على هذا الارتفاع الهائل ، فوق آلاف الاقدام بعيداً عن الاضطرابات الأرضية ، يعطيه شيئاً من الشعور بالراحة اللذيذة ، كانت الجبال تظهر من بين السحاب ، وظل الطائرة يسبح على بحر من القطن الأبيض ، ثم تتابعت المراحل كأنها درس مختصر في الجغرافية العالمية " جنيف " . أربعون دقيقة - فنجان قهوة ثم " لشبونه " - جمال البرتغال ، وتمر الضيفة لتوقظه وتقدم له الأطباق الجميلة الشكل ولكنها عديمة الطعم ، وينام مرة أخرى ويصحو مع شروق الشمس ، البحر بساط أزرق لاحدود له . ثم تبدو الشواطئ الافريقية مطار " داكار " - جو افريقيا بروائحه الغريبة التي تجمع بين رائحة أوراق الشجر الميتة في الغابات الاستوائية ورائحة اليود المنطلقة من البحر ورائحة الأحجار التي أحرقتها الشمس .. انها افريقيا أخرى غير أفريقيا البيضاء التي عاش فيها ، إنها القارة الكبيرة العميقة " افريقيا الأم " .

ويسمع في المطار صوتاً دافئاً يطلب الى الركاب القاصدين الى ريودي جانيرو وسان باولو وبوينس ايرس ومونتڤيديو وسانتياجو ، أن يتجهوا الى الطائرة أعجبه الصوت وكان يود أن يتعرف على صاحبته الجميلة!..

في ضوء الشمس الساطع ، في اتجاه الغرب ، الى العالم الجديد ،

الى حياة جديدة ، كان قد وضع على هيئة نظارة سوداء وأخذ فطـــوره بشهية ، كانت وجهتهم البرازيل ، وحلقت الطائرة فوق المحيط الأزرق اللامع وظهرت " ريو " قمع السكر - كما تبدو على بطاقات البريد المصورة ، اشترى فى المطار رواية بوليسية ، فيها وصف للطيبة والقسوة فى " هارلم " ووصـف رجال الشرطة الأشداء والطيبين فى نفس الوقت مع صدق بصيرتهم واستسلامهم للقدر وتحملهم لبؤس البشر .. " سان باولو " .. انه يقترب من هدفه ، انه هو أيضا سيصبح نوعا ما " رجل شرطة " يبحث عن معلومات ... أى معلومات وأى حقيقة ؟ .. يتناول آخر وجبة له فى الطائرة ثم يصل الـى " بوينس ايرس " هنا ستبدأ مهمته ، سيدخل " قفص الاسود " ولن يسمح له بأى خطأ .. ان الامس بعيد جداً ، قارات أخرى .. بل كوكب آخر .. فى الساعة ١٣,٣٠ بالتوقيت المحلى نزل من الطائرة فى نهاية رحلتـــه - بعد أن أمضى هذا السفر الطويل خارجاً عن شخصيته ، وأخيراً وصـل الى مقر شركة الطيران السويسرية بشارع " سانتافى " .

ويسأله الكولونيل صلاح الدالى عن ذلك الرجل الذى كان سيقابلـه فى نفس الليلة بمقهى كورينتاس ، وهل كان موجوداً فى موعده ؟

يـــتردد كوهـــين كأنـــه فى متاهـــة ذكرياتـه ، وبعد ثوان يقول :

ـ " نعم جاءني في تمام الساعة الحادية عشرة شخص اسمه ابراهام ، عمره حوالي ٦٥ سنة ، شعره أبيض ناصع ، وأخبرني بأنه سينزلني في غرفة مفروشة استدل عليها من اعلانات جريدة " لا برنسا " الصحيفة اليومية الكبرى في بوينس ايرس ، وبعد ذلك كان يجب علىّ أن أذهب أربع مرات في الاسبوع الى مدرس ليعلمني اللغة الاسبانية " .

ـ " من كان ابراهام هذا ؟ "

ـ " لا أعرف شيئاً عنه "

ـ " كيف ياكوهين ؟ لقد اعترفت بنفسك أنك قابلته عدة مرات " .

ـ " صحيح ياسيدى الرئيس ، ولكن بخلاف هذه المقابلات القصيرة لم أكن أعرف شيئا عنه ، كنت ألجأ اليه كلما احتجت الى نقود أو كلما اقتضى الأمر القيام باجراءات لمد تأشيرتي ، وبعد ثلاثة شهور من مقابلتنا الأولى سلمني بطاقة شخصية وجواز سفر أرجنتينيا كلاهما باسم كمال أمين ثابت ، وبعد حصولي على هذه الوثائق أمكنني أن أترك الغرفة المفروشة التي كنت أشغلها وأن أنزل في مسكن أحسن ، وحينئذ أعطاني ابراهام اشارة المرور الخضراء ، من الآن فصاعداً كان يجب أن أكثر من الخروج والتردد على المطاعم العربية والذهاب الى صالات السينما المتخصصة في الافلام العربية .

وبالاختصار أن أعمل بكل الطرق على الاختلاط بالجاليات السورية فـــى بوينس ايرس، فذهبت الى النادى العربى فى العاصمة حيث تعرفـــت بالسيد عبدالله الحشان الذى كان يصدر باللغة العربية جريدة اسمهـــا " العالم العربى " فسألنى عن بعض التفاصيل الشخصية وزودنى بجرائد مصرية ولبنانية وجعلنى أشترك فى جريدته. يبدو لى أنه استلطفنى من أول وهلة اذ طلب الىّ فى نهاية مقابلتنا الأولى أن أتردد كثيراً على النادى وأعطيته عنوانى المهنى بأنى أعمل لحساب شركة سياحة، وقد تقابلنا مراراً بعد ذلك فى فترات منتظمة ".

ويلاحظ فى هذه الفترة من الزمن ، مع الاختلاط بالحياة العربيـــة فى العاصمة الأرجنتينية ، أن الجاسوس الاسرائيلى قد تمكن من مقابلـــة الجنرال أمين الحافظ الذى أصبح فيما بعد رئيسا للدولة السورية ، وكـــان وقتئذ ملحقا عسكرياً فى سفارة سوريا فى بوينــس ايرس، كانت المقابلة الأولى فى حفلة استقبال باحدى السفارات العربية حيث قدموا كمال أمين ثابـــت الى الجنرال الحافظ باعتباره شاباً سورياً مهاجراً يرغب فى العـــودة الى الوطن ، وبالرغم من أن الحافظ كان يتآمر منذ ذلك الوقت ضد النظام القائم فى سوريا ، فانه لم يشعر بأى اشتباه فى هذا المواطن الغريب ، ولما أصبح الجنرال الحافظ السيد المطلق فى سوريا سنة ١٩٦٣ كـــان كمال أمين ثابت قد استقر منذ سنتين فى دمشق وأصبح متداخلاً فـــى

أعلى الدوائـــر السياسيـــة ـ وأخيراً لعب الرئيس الحافـــظ دوراً هاما فى محاكمة كوهين !

يتملمـل الكولونيل صلاح الدالى على كرسيه، يريد أن يقفز فى قاعـة المحكمة وينقض على كوهين ، ليبصق فى وجهه ويصفعه ويلقيه أرضاً ويدوسـه بقدميه ، وأخيراً يقول له بصوت متغير :

ـ " اذن لقد أصبحت ياكوهين شخصية بارزة فى الجالية السوريـة ببوينس ايرس ، بفضل هذا المسكين عبد الله الحشان ، لابد من أنـك تلقيت تعليمات جديدة فى ذلك الوقت ؟ "

ـ " نعم ياسيدى الرئيس ، بعد مرور بضعة شهور جاءنى ابراهـام وسألنى عن تفاصيل عملى وعما اذا كنت فى تقدم ، وبعد أن أطلعته علـى ما وصلت اليه ، قال لى أنه يجب علىّ أن أبلغ جميع معارفى أننى أنـوى السفر فى رحلة الى عدة بلاد عربية لحساب شركة السياحة التى اشتغـل فيها ، وأنه يلزمنى لهذا الغرض الحصول على خطابات تقديم وتوصيـات لأقاربهم وعائلاتهم فى البلاد التى سأتوجه اليها ، فأعطانى عبد الله الحشان أربعة خطابات ، منها خطاب لابنه فى دمشق وآخر لابن عمه فى الاسكندريـة وآخران الى بيروت منهما خطاب الى مدير أحد البنوك ، وتمكنت بـدون

صعوبة من أن أحصل على تأشيرة لستة أشهر للبنان كما أن سفارة مصر في بوينس ايرس منحتني التأشيرة بسهولة " .

مما لاشك فيه ان ايلى كوهين لم يكن يتيسر له اتقان دور كمال أمين ثابت بهذه الدرجة ان لم يكن قد استفاد بقدر كبير من صداقته لعبد الله الحشان ، فانه كان يلاحظه بدقة ويلتقط منه العادات والتقاليد المتأصلة فيه كسليل لعدة أجيال من أهالى دمشق ، ومن جهة أخرى فإنه استفاد من خطابى التوصية اللذين حملهما معه ، لابن الحشان ولنجيب حرب ، وقد قبض فيما بعد على هذين الرجلين اللذين حوكما معه فى نفس القضية ، وكان ابن الحشان مهدداً بالحكم عليه بالاعدام ، أما عبد الله الحشان نفسه فكان متهماً بأنه لم يكتف بمساعدة الجاسوس الاسرائيلى بل إنه تعاون معه ، مما جعله يتميز غيظاً من أنه قد خُدع وتورط الى هذا الحد ، فحرر مقالاً من نار نشره فى صحيفة يومية كبيرة تصدر فى بيروت وروى فيه تاريخ علاقاته بثابت المزعوم كمايلى :

" فى يوم ٢٣ فبراير ١٩٦١ زارنى فى مكتبى بادارة تحرير جريدتى فى بوينس ايرس رجل فى الثلاثين من عمره بشرته فاتحة وشعره داكن ، كان يريد الاشتراك فى صحيفة " العالم العربى " ودلنى على عنوانه بشارع تاكورانا رقم ١٤٨٥ وذكر لى أنه من أصل مصرى وأطلعنى على جواز سفره

لاثبات ذلك ثم قابلت أمين ثابت مرات عديدة فى حفلات استقبال سفارات الدول العربية وأيضا فى نادى الشبيبة العربية ببوينس ايرس ، وكنا نتحدث معاً ، كان يدل مظهره على أنه لايحب الثرثرة ولكن هذا التحفظ نفسه كان يشعرنى بحدة ذكائه ، كان على الدوام جاداً لايتزعزع ، وكان شغوفا بالمسائل العربية حتى طلب منى الاطلاع على الجرائد العربية التى كانت تصلنى بوفرة ، وفى ١٣ مايو ١٩٦١ جاء يحيينى ويبلغنى أنه سيعود الى بلده ، كنت قد انتهيت فى الحال من تحرير خطاب الى ابنى فى دمشق وبما أن ثابت كان سيسافر الى سوريا فقد رجوته أن يسلم الخطاب لابنى بمجرد وصوله الى دمشق ، وهذه المجاملة البريئة هى التى ساقت ابنى الى السجن ، ولكن لست أنا الذى بعث بهذا الجاسوس الاسرائيلى الى سوريا ، انهم القناصل العرب الذين كان على علاقة ودية بهم ، والذين منحوه التأشيرات اللازمة ، ومن جهة أخرى ، اذا كان كوهين قد نجح فى خداع أقسام الأمن فى البلاد العربية فهل أنا المسئول عن ذلك ؟ بماذا يلومونني ؟ بأنى لم أتمكن من كشف سر شخصيته الحقيقية ؟ "

فى الواقع لم تكن الشرطة السورية ـ بكل أقسامها ومخابراتها المضادة للجاسوسية ـ أمهر من عبد الله الحشان !

ويستطرد ايلى كوهين فى روايته : غادر بوينس ايرس ووصل الى

زيوريخ حيث قابل "سالينجر" الذى سحب منه جميع الوثائق الخاصة بشخصيته المزورة وأعاد له جواز سفره الاسرائيلى ، إذ كان عليه أن يذهب أولاً الى اسرائيل .

فوجئت بعودته زوجته نادية وكانت فرحتها كبيرة جداً بملاقاته بعد هذا الغياب الطويل ، وبعد الترحيب به وبثه عواطفها ، أمطرته أسئلة ، ولكن كوهين كان يتهرب من الرد والافصاح بمهارة أذهلته هو نفسه ، كان يقول أنه قد حصل على ترقية وأن عمله سوف يضطره للتغيب كثيراً !

وبعد وصوله الى تل أبيب توجه الى بيت آخر فى شارع "اللنبى" حيث أكمل تدريبه على أعمال التلغراف والإرسال اللاسلكى ، كما درس جميع الاسلحة المختلفة المستعملة فى البلاد العربية وسجلها فى ذاكرته وتدرب على تمييزها ، وفى نفس الوقت كان يتمرن على إستعمال أبجدية " مورس " المستخدمة فى الاشارات البرقية ، وعندما توصل الى سرعة مقبولة ، أخبروه أن عليه أن يستعد للسفر ، وكان ذلك فى ديسمبر ١٩٦١ .

=:=

كوهين فى دمشق !

...

فى هذه الأثناء كانت الجمهورية العربية المتحدة قد تفككت دون أن تتمكن القاهرة من عمل شئ سوى الاحتجاج بشدة ، وعاد "المارشال عامر" الى مصر وزال هذا الاتحاد الذى كان يمكنه أن يشكل نواة جمهورية عربية متحدة حقيقية ، وبزواله ضاعت أحلام عبد الناصر فى وحدة عربية شاملة ، وفى نفس الوقت كان كوهين يمهد لدخوله الى سوريا .

— " ماذا كانت التعليمات التى تلقيتها قبل مغادرة اسرائيل"؟

— " أبلغونى أن آلة الإرسال اللاسلكى ستحول الى ميونيخ عند "سالينجر" ولدى وصولى الى دمشق سيتصل بى شخص من موظفى الاذاعة السورية " .

— " يعنى كانوا أعدوا لك من قبل سبيل الدخول الى دمشق"؟

— "نعم يا سيدى الرئيس " .

— "كمل ... ماذا تنتظر ؟ هل أنت تحلم "؟

— "قالوا لى أيضا أنى سأقابل فى دمشق مهاجراً آخر عائداً من أمريكا اللاتينية مثلى وكان قد سبق له العمل فى الاذاعة الأرجنتينية . "

— " ياصهيونى ياقذر ... اذن كان الطريق ممهداً لك فى دمشق " .

— " نعم ياسيدى الرئيس ، وعند ذلك سافرت الى ميونيخ ".

ويوالى كوهين سرد الوقائع بصوته الضعيف الذى أنهكه التعب والتعذيب ..
أصبح كوهين يحب هذه الرحلات بالطائرة ، كان يعتبرها من أحسن أوقات حياته الحالية كجاسوس ، أحب الحركة السريعة النشطة فى المحطات الجوية ، وعمال الجمارك المشغولين ، والمضيفات اللواتى يشبهن الزهور ، وواجهات المحلات الفخمة التى تعرض فيها البضائع الغالية والتى لا لزوم لها ، وعلى هامش هذه الحياة يمر هو بمعيشته المزدوجة ، لقد أحس ، عند سفره من اسرائيل فى رحلته الطويلة الأولى ، باحساس خفى عن الانعزال النهائى الذى سيلازمه الى الأبد ، ان العمل بالنسبة له أصبح الآن الجهد المستمر ، التربص ، القلق والاشتباه ،
الملاحظ الذى يجب أن يعلم كل شئ ، ولكنه أيضا وعلى الدوام الرجل الوحيد ، المنعزل الذى يلتقط أنفاسه ويسهل القضاء عليه !

ركب الطائرة الاسرائيلية وارتفعت به وطارت وابتعدت ، كان يحس بنفسه فى حالة تشبه الصحراء ، صحراء النقب التى اكتشفها فى رحلة عرسه الى إيلات ، مع نادية وباندفاعها فى الحب وعينيها الواسعتين عندما تغلقهما ، وجسدها المتموج كالبحر ... يجب إبعاد هذه الذكريات ، لا يمكنه أن يعيش مع ذكرياته الآن ، كفاه مصاعب ، كل يوم ، عليه أن يفكر فيما يريده للغد ... وانغمس فى تصفح مجلة أسبوعية اسرائيلية مصورة ، وتأمل على غلافها الأحمر الداكن ، الظهر العارى لامرأة ، جميلاً ، مثل الجنة المفقودة !

— " لحظة ياكوهين ، تعال هنا ، هل تتعرف على هذه الأشياء " ؟

وكانت الأشياء المذكورة عبارة عن كل ما عثر عليه فى شقة ثابت أثناء التفتيش : آلات ارسال لاسلكية ، حبر سحرى ، متفجرات ، سم ، صابون انجليزى بداخله قنابل يدوية ، لعبة " طاولة " قطعها مجوفة لاخفاء الأفلام الدقيقة ..!

يتقدم كوهين بخطى بطيئة ، ينظر الى الأشياء واحداً واحداً ، ثم يمسكها بيده واحداً واحداً ، ويمسك زجاجة السم ... فيخطفها القاضى من يده بحركة فجائية عنيفة ، وبدا كأنه متحير لأول مرة فى المحاكمة ، إنه فقد اتزانه المصطنع ، هذا النوع من الكرامة المجروحة التى كان يتظاهر بها حتى الآن ويقول لكوهين :

— " كفى ، لا تضيع وقتنا ، هل تعترف بأنك كنت تمتلك كل هذه الأجهزة ؟ "
— " نعم يا سيدى الرئيس " .
— " عد الى مكانك "

ويستدير كوهين ويعود الى قفص الاتهام حيث يجلس ويوالى سرد روايته :

" فى ميونخ قابلت سالينجر ... نعم يا سيدى ، انه كان ألمانياً ... أعطانى خمسمائة دولار وآلة الارسال ووثائقى السورية ، وكلفنى بحجز محل على الباخرة " اسبيريا " من جنوا الى بيروت ، وأخبرنى بأن شخصاً سيتصل بى على المركب وهو الذى سيسهل لى دخول سوريا ، وأبحرنا ... وفى اليوم السابق

لوصولنا الى الاسكندرية ، بينما كنت وسط فريق من المصريين ، اقترب منى شخص وقال لى بلهجة عادية : " اتبعنى ، انى أريد أن أكلمك " كان اسمه "مجيد شيخ الأرض" وفى خلال حديثنا قال لى : إنه يملك سيارة ... وكانت هذه العبارة اشارة الى أنه مستعد لتسهيل وصولى الى دمشق ، وسألنى عما سأقوم به فى حياتى المقبلة ، وحدثته عن مشروعات " كمال أمين ثابت " وفى اليوم التالى وصلنا الى الاسكندرية "

نزل كوهين على أرض مسقط رأسه دون أن يشعر بأى اضطراب ، لقد نجح فى اخماد أى عاطفة لاجدوى منها ، فى بدء رحلته كان يشعر بأنهم يقتلونه بل وأنهم " يسلخون " كوهين من جلده ، ليضعوا جسمه وهو مازال ساخنا فى جلد شخص خيالى اسمه كمال أمين ثابت ، أما الآن ، فقد قضى الأمر، إنه مهاجر سورى هادئ ينزل الى الاسكندرية لفترة وفوق الباخرة فى مينائها ، ويزورها كأى سائح عادى، كان يسير وسط جمهرة المتريضين ويمر دون إظهار رأى عاطفة أمام دكان أنيق كانت تملكه سيدة تعلقت يوما بحب شاب يصغرها فى السن ، ساعدته ، أحبته ، ولكنه سافر فى أحد الأيام ..!

وعلى طريق الميناء اشترى " مانجو " وصعد الى المركب ، ونظر الى الشيالين وسائقى عربات " الكارو " ، وباخرة البضاعة الروسية التى تنزل شحنتها وبالات القطن المرصوصة بشكل هرمى ... وكان أمامه مطعم صغير جدا يرتاده البحارة ، صعدت منه الى أنفه رائحة " الفول المدمس " فنزل من الباخرة ودخل

الطعم واختلط بالشيالين والمواكبية ، لقد إسترد شهيته ، شهية شبابه ، وهـــو يقضم الرغيف الرفيع المشطور والمحشو بالفول المتبل بالبصل والبهارات ..

وفى بيروت نزل مع مجيد شيخ الأرض فى فندق كبير مطل على البحر، أعجبتــه جداً العاصمة اللبنانية بعماراتها الحديثة ، وبقصورها المبنية لتجيد للأعمــال المالية ومرور بترول الخليج ، بشوارعها المليئة بالحركة والنشاط والمرح وبأنوارها الليلية !

مكثا يومين فى بيروت قبل أن يسافرا بعدها الى سوريا بسيارة مجيد ، كـــان عليهما أن يمرا فى طريق جبلى يخترق سلسلة من المرتفعات ثم ينزل الى الـــوادى ويمتد الى مرتفعات بلاد الدروز التى يليها ٨٠٠ كيلومتر من الرمال المسطحـــة لتصل الى سلسلة جبال ايران العالية ، وفى وسط هذه الرمال : سوريا ـ دمشق .

فى قاعة المحكمة كانت الآذان متعلقة برواية الجاسوس الاسرائيلى :

"توجهنا نحو " شتورا " ومنها قصدنا الحدود مباشرة ، لم تصادفنـــا أى صعوبة فى مراكز التفتيش اللبنانية ، ثم توقفت السيارة أمام التفتيش الســـورى ، نزل مجيد من السيارة بعد أن أوصانى بعدم التحرك منها ، واقترب من شخـــص يرتدى الملابس المدنية ، علمت فيما بعد أنه مفتش فى الأمن الوطنى وكانوا يسمونه "أبو خلدون" ولكنه فى الواقع كان من أفراد المخابرات السورية واسمه الحقيقـــى (ناصر الدين الـــوادى) .

شعر كمال أمين ثابت كأن يداً تعصر أحشاءه أثناء انتظاره أمام نقطة الجمرك ، ماذا لو طلبوا تفتيش الأمتعة ؟ كان يمسك بكل قوة ، داخل أحد جيوبه ، بزجاجة السم الذى كان مستعداً لتناوله فى حالة القبض عليه !

- " مجيد وأبو خلدون المزعوم ٠٠٠ "
- " كفى ياكوهين ، أحذرك من إستعمال هذه الكلمات " مزعوم " وغيرها إنى أريد وقائع ، أنت سامع ؟ ٠٠٠ وقائع فقط ٠ "

- " نعم ياسيدى الرئيس ، سامحنى ياسيدى الرئيس ، لقد تبادل مجيد وأبوخلدون القبلات كأنهما صديقان قديمان يلتقيان بعد غياب ٠٠٠ وبعد بضع دقائق سمح لنا بأن نواصل السير فى طريقنا بدون أية اجراءات أخرى ، ووصلنا الى عزبة يملكها مجيد ، فواريت فيها الحقائب التى كانت تحتوى على أجهزتى ، ووصلت الى دمشق يوم ١٠ يناير ١٩٦٢ ونزلت أولاً فى فندق سميرة "

دخل ايلى كوهين (المدعو الآن كمال أمين ثابت) دمشق ، وكان يسير وسط معسكر العدو وبدون اضطراب ، كان يشعر بالهدوء ، هدوء غريب مصحوب بالوعى التام ، إنه مكلف بمهمة وما عليه الا أن يقوم بها ، لم يعد يفكر فيما عساه يحدث فى النهاية التى لابد من أن تختم جميع أعمال البشر ، وعدم التفكير فيما كان عليه : انها القاعدة الذهبية للجاسوس الحقيقى ، الاكتفاء بتنفيذ أفكار قواد هذه الحرب الغامضة ، التى لا ترفع فيها الأعلام ٠٠٠ وذلك دون التفكير فى الأهداف الحقيقية المباشرة لعمله الذاتى !

فى الواقع ماهو الفرق بين مستخدم فى بنك وبينى ؟ انه يسجل شيكات من الصباح الى المساء ويجيب عن الأسئلة كالآلة الميكانيكية ، وأنا ؟ انى أسجل معلومات ، وكل ما يكلفنى سماعه ، وأقوم بابلاغها لآخرين ، وذلك بطرق تحتاج لمهارة نادرة ، ولكنى أجاوب أيضا عن الأسئلة كالانسان الآلى ... اننى انسان آلى ... هل يعلم هذا الكولونيل الغاضب أننى انسان آلى ؟...

دمشق مدينة جميلة ، كانت فى الماضى عاصمة الأمويين ، عندما يأتى الربيع يزدهر حزام الحدائق الذى يطوقها وتتجاوب فيه الألوان والروائح المختلفة ، إن كوهين ، فى زنزانته ، يتذكرها بحنان ، انها مدينة كان قد أحبها ، سيعود الربيع قريباً ، ولكنه هو لن يمكنه التريض فى هذه الحدائق ...!

ـ " بعد أسبوع قابلت ابن عبد الله الحشان (كمال) وكنت على موعد معه لأسلمه خطاب والده ، وتطورت علاقتنا سريعًا ، كثيراً ما كنت أزوره ، وقدم لى " معزى زهر الدين " ابن أخ عبد الكريم زهر الدين الذى كان رئيس أركان الجيش فى سنة ١٩٦٢ كان معزى موظفاً فى وزارة الشئون البلدية ، وبعد أسبوعين استأجرت شقة كان كمال دلنى عليها فى بيت جميل بحى " أبورمانة " بجوار أركان الحرب والسفارات الكبيرة وكان ايجارها السنوى ٣٩٠٠ جنيه سورى " .

نجح كوهين فى كل ما سعى اليه ، كمال أمين ثابت كان يبدو بمظهر التاجر الذى يريد مباشرة عملية تصدير واستيراد وهمه الأكبر هو تنمية التجارة الخارجية

فى سوريا ، وقد سمح له ذلك بعقد علاقات مفيدة فى عالم الأعمال وفى الادارة العليا بمختلف الوزارات ، وتنمية علاقاته وامتدادها من فريق الى آخر ، وقد تمكن من التسرب الى أركان الحزب الحاكم (البعث) وضمها الى أوساط مجتمع آخر أكثر أهمية بالنسبة له : المجتمع العسكرى ، وكان يعلن عن هدف كبير يصبو اليه وهو توثيق الصلات بين الجاليات السورية المبعثرة فى أنحاء العالم وبين الوطن الأم ، وبالتالى تعزيز النفوذ السورى وتحسين المركز الدولى للبلاد !

كان يدعى بانتظام الى حفلات الاستقبال التى يقيمها الوزراء وكبار الضباط ، وسنحت له الفرصة بذلك لمقابلة الجنرال " أمين الحافظ " بعد ارتقائه كرسى رياسة الجمهورية ، وقد سمع الأستاذ مرسيه المحامى ، الذى لم يسمح له بالدفاع عن كوهين ، سمع فى أثناء المحاكمة الرواية التالية التى كانوا يتداولونها على مقاهى دمشق : أن ايلى كوهين كان قد أهدى معطفاً من الفرو الى قرينة الجنرال الحافظ كهدية من المهاجرين السوريين العائدين الى وطنهم ، ولما عاد الحافظ من باريس حيث كانت قد أجريت له جراحة هامة بعد بضعة شهور من توليه الحكم ، كان ايلى كوهين من بين الشخصيات التى استقبلته فى مطار " المزة " كان ذلك فى الوقت الذى بلغ فيه كوهين ذروة نجاحه ، اذ كان يعتبر أحد القادة المقبلين لحزب البعث ، كانت ثقته فى نفسه بلغت حداً جعله يعتقد أنه لم يعد يخشى شيئاً فى قيامه بدور المهاجر السورى المحتم ، كان قد اندمج فى شخصيته الجديدة واتخذ لهجة العرب السوريين والعادات المتأصلة فى أهالى دمشق !

كانت شخصية ايلى كوهين قد اختفت كلية من وراء كمال أمين ثابت لدرجة أنه كان يطرد كل فكرة يحتمل أن تذكره بشخصيته السابقة ، وصار ظل " كوهين " من وراء " ثابت " لا يضايقه فى أى وقت ولا بأى شكل ، وان كان هو الذى يملى عليه الحوافز العميقة لتصرفاته ، وقد اعترف السوريون أنفسهم فيما بعد بأنه كان نابغة فى هذا " التقمص " إن السرعة التى حصل بها ثابت على مركزه العالى والسهولة التى أنشأ بها أرقى العلاقات ، وكيف أنه قام باستثمارها ، بالتملق حينا والغطرسة حينا آخر ، والمهارة التى كان يجمع بها المعلومات ، كل ذلك قد أدهش أعضاء مجلس الثورة الذين أخذوا ينظرون بعضهم الى بعض فى حذر أثناء محاكمته ، خشية إفتضاح شئ من الأسرار أو الملاحظات التى فاهوا بها أمامه .. وكان الشعب فى دمشق وحلب وحمص وفى كل بقعة من البلاد حتى فى "دير الزور" يتساءل كيف أن أحداً لم يشتبه قبل ذلك فى هذا الجاسوس الصهيونى ، خاصة وأن سوريا "دولة بوليسية" والشك عندها هو أساس التصرف ، قد يقال ان توالى وقوع الثورات والانقلابات فيها قد أثر على فاعلية الأقسام السرية فى سوريا التى كانت تضطر فى كل مرة لتغيير رموزها وطرق مخابراتها وتعديل أجهزتها بل وأحيانا " تصفية " بعض عناصرها وعلى كل حال ، يبقى الأمر الواقع والغريب جداً ، هو أن هذا العميل الاسرائيلى قد تمكن من الاستمرار فى نجاحه لمدة أربع سنوات ، وهذا ما يفسر البغض العنيف الذى عومل به كوهين بعد القبض عليه !

وقد عرف ايلى كوهين كيف يخدع السوريين حتى بعد القبض عليه ....؟ كان من قبل باعتباره من القادة العقائديين فى البعث ، يدير فى الراديو اذاعة موجهة

للجاليات السورية ، ويضمنها بعض المعلومات المفيدة لقسم الاستعلامات الاسرائيلى وقد " أقنعته " المخابرات السورية بأن يستمر فى هذه الاذاعات بعد اعتقاله ، على أن تتضمن معلومات مزيفة ... ولعب كوهين بمهارة فائقة دور الرجل اليائس المستسلم لكل ما يؤمر به ، فواصل اذاعاته كالمعتاد ، وكانت الاذاعة تشتمل دائماً على قراءة فصل من كتاب " روبنسون كروزو " باللغة الفرنسية ، وكان على اتفاق سابق مع المخابرات الاسرائيلية بأن يدخل بعض التعديل على الجملة الأخيرة فى الفصل الذى يقرأه ليكون ذلك دليلاً على صحة المعلومات وسلامة الموقف ، ولكنه ، بعد اعتقاله ، صار يقرأ الفصل بدون أى تغيير ، مما دل المخابرات الاسرائيلية على أن "كمال أمين ثابت" قد أصبح عديم الفائدة ، وأن " ايلى كوهين " قد انكشف سره !!

كان استجواب كوهين دقيقاً جداً ومع ذلك فلم يكشف إلا قليلاً من نشاطه ، كانت المخابرات الاسرائيلية قد كلفته فى أول اقامته فى دمشق بالبحث عن آثار أحد عملائها السريين الذى اختفى فجأة ، ألح الكولونيل الدالى لمعرفة هوية هذا العميل الغامض ، ولكن كوهين كان يعمل وحيداً ، لم يكن عضواً فى شبكة مما كان يتيح — فى حالة القبض على أحد أعضائها — الاستدلال على باقى الأعضاء .. اذن فلابد من البحث عن كافة الآثار التى يمكن تتبعها ، كانت قد اكتشفت رسالة سرية تطلب من كوهين الاسراع فى البحث عن العميل المختفى ، وتمكنت المخابرات السورية — التى لا تخلو من القدرة والخبراء المهرة — من حل رموز هذه الرسالة غير أن كوهين اقتصر على القول بأن الموضوع يخص عميلاً سرياً كان فى سوريا وانقطع

فجأة عن الاتصال برؤسائه ، وكان المطلوب من كوهين معرفة ماحدث له وهل هو معتقل فى أحد السجون ، ولكنه كان يجهل اسم هذا العميل ولأى سبب كان موجوداً فى سوريا ... ويتنحنح الكولونيل وينظر الى ساعة يده ثم يرفع الجلسة.

فى خلال الجلسات الأخرى ، أدلى كوهين بأسماء بعض رجال السياسة والنساء والعسكريين ، والموظفين الذين كان على اتصال مطرد بهم ، وقال أنه زار ثلاث مرات المراكز السورية الأمامية على حدود اسرائيل ، خلف القنيطرة ، كما أنه شاهد بعض مناورات الجيش السورى !

كان من بين الأشخاص الذين عاشرهم كوهين مهاجر سورى مسيحى إسمه "جورج سيف" وكان مقيماً فى الأرجنتين قبل عودته الى سوريا حيث استخدم فى راديو دمشق ، ويقول كوهين :

"كانوا حدثونى عن سيف قبل سفرى الى سوريا وكان مفروضاً أن أتصل به بعد مقابلتى لكمال الحشان ابن الصحفى العربى المقيم فى بونيس ايرس ، ولما تقدمت الى سيف استقبلنى بحرارة قائلا "أهلا وسهلا ثم تقابلنا وتزاورنا كثيراً بعد ذلك ، وكنت أذهب الى مكتبه فى وزارة الأعلام وكان يزودنى بمختلف الأخبار ويعطينى معلومات عن الحالة السياسية فى البلاد ويتركنى أتصفح التقارير السرية التى كان يتلقاها ، وذات يوم ، بينما كنت جالساً أمام مكتبه ، دخل علينا أحد رؤساء الأقسام فجأة ، وأخذ يلوم سيف بعنف لأنه ترك شخصاً غريباً يطلع

على ملفاته ، فأجابه سيف بأن الزائر ما هو إلا صديق قديم جداً وعلى كل حال فإنه لا يفهم كلمة واحدة من اللغة العربية ... وقد واصلنا مقابلاتنا بعد ذلك ولكننا كنا أكثر حرصاً ، واستمر فى موافاتى بمعلومات هامة "!

واتضح أن جورج سيف كان من أكثر المرشدين قيمة بالنسبة لكوهين الذى تعرف عن طريقه بالملازم "عدنان الجلبى" وبالأستاذ "خورى" المحامى السورى وكان كوهين يحصل منهم جميعاً على أدق البيانات عن الحياة السياسية السورية. وقد اشتبهت المحكمة فى أن يكون سيف هذا هو الساعد الأيمن للجاسوس الاسرائيلى ولكن لم يثبت ذلك بشكل مؤكد !...

بواسطته ، علم كوهين أن "سامى الجندى" وزير الاستعلامات قد تقرر "نفيه" الى باريس بصفة وزير مفوض ... وأن الحكومة الجزائرية قد رفضت مقابلة ميشيل عفلق ، الأب الروحى للبعث (وهو الخبر الذى أعلنته الاذاعة الاسرائيلية قبل أن يعرفه العالم العربى) ... وأن رئيس الوزراء السورى "صلاح البيطار" على وشك الاستقالة ... وأن الكولونيل "زايد العريضى" قائد منطقة الحدود الغربية قد اعتقل ثم نفى الى أسبانيا ...

من ناحية أخرى كان كوهين يوطد تدريجياً مركزه الشخصى فى حزب البعث حتى صار من قادته العقائديين ، كان يدير أحد أقسامه فى دمشق وبالتالى كان على علم بما يحدث فيه من المناورات والاختلافات الأيديولوجية أو الشخصية

ومن المؤامرات ، وعلاوة على ذلك كان يدير إحدى اذاعات راديو دمشق وهدفها تقديم حزب البعث الى الرأى العام الأجنبى كحزب " محترم وتقدمى " وعن طريق هذه الاذاعة كان يبلغ معلوماته السرية الى قسم الاستعلامات الاسرائيلى الذى كان يذيعها فى بعض الأحيان قبل أن يعلم بها السوريون أنفسهم !

ولكن جورج سيف أصر بعناد - خلال المحاكمة ورغم إلحاح الكولونيل صلاح الدالى - على تأكيده أنه لم يشتبه أبداً طوال مباشرته لكمال أمين ثابت بأنه جاسوس اسرائيلى ، بل كان يعتقد أن كمال هو عربى ثرى من الأرجنتين عاد الى وطنه ، غير أنه اعترف بأنه من كثرة تردده على منزل كمال قد لاحظ أن هذا الأخير يتعرف على زائريه من طريقة دقهم جرس الباب !..

أما ايلى كوهين فقد أقر بأنه - عندما سافر الى الأرجنتين بغرض تأسيس فرع لحزب البعث فى بوينس ايرس والحصول على تبرعات للحزب - تلقى خطاباً من جورج سيف يسأله فيه عما اذا كان مستعداً لتسليمه مفتاح شقته ، فقام الكولونيل الدالى بسؤال سيف عن سبب طلبه هذا :

- " كنت أريد استعمال الشقة لمقابلة صديقات دون علم زوجتى " !
- " ألم يكن لتحل محل كوهين فى ارسال المعلومات الى اسرائيل ؟ "
- " أبدا يا سيدى الرئيس "

ثم يوجه صلاح الدالى سؤاله الى كوهين :

- " ألم تخش ، عند إعارة شقتك الى سيف ، أن يكتشف أجهزتك ويبلغ عنك ؟ " .

- " كنت أثق فى سيف ياسيدى الرئيس وأعتقد أنه لن يبلغ عنى حتى لو اكتشف أنى جاسوس ، وفى الواقع كثيراً ما كنت أسلمه مفتاح شقتى ، وكان يأتى فيها مع صديقات ، أو مع من يريد ، فقد كان بيننا نوع من الاتفاق ، واذا ما تغيبت ، كنت أترك المفتاح فى صندوق الخطابات " !

وتستمر المحاكمة ، وتذكر فيها المهام المختلفة التى كلف بها كوهين فى دمشق ، الواحدة بعد الأخرى ، وكانت احداها تخص البحث عن مجرى حرب نازيين ، وفيها وضحت المساعدة الثمينة التى قدمها مجيد شيخ الأرض الى كوهين ومجيد هذا هو الذى كان (عند المرور من نقطة الحدود السورية وحينما كان كوهين يخشى اكتشاف أجهزته) قد تظاهر بعناق الموظف المنوب ليدس فى جيبه " مرتبة " صغيرة من أوراق البنكنوت (حوالى ٧٠٠ فرنك فرنسى) !

ومجيد هذا كان تاجراً سورياً عمره خمسة وخمسون عاماً ، وكان قد تزوج بمصرية يهودية ، ولكن حياة الزوجية الهادئة لم تجعله ساكناً بل استمر مغامراً ، كان قد لجأ الى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية واتصل هناك بعدة أشخاص من الأوساط المختلفة ... وكان فى " سيول " أثناء حرب " كوريا " ... وكان معتمداً من الأمم المتحدة لمهمة ما ... ثم أقام فى الأرجنتين ... وأخيراً عاد الى سوريا حيث كان يتولى أعمالاً تجارية مختلفة ولكنه كان يحتفظ بعلاقة وثيقة

مع جميع معارفه ، وبما أن كوهين كان قد كلف بالبحث عن أحد النازيين اسمه " روسلي " الذي ذكر دوره في قضية " ايخمان " والذي كانوا يعتقدون بوجوده في دمشق ، فقد استعان بمجيد وتمكن من الوصول الى منزل " مجرم الحرب روسلي " !

هنا تنقصنا التفاصيل ، اذ يكاد يكون من المستحيل الحصول على أقل دليل عن نشاط المخابرات الاسرائيلية في هذا الصدد ، لأنها كانت تستعين للقيام بمثل هذه المهام بعملاء متخصصين في متابعة وكشف هؤلاء الأشخاص الى أقصى درجة ، إن كثيراً من هؤلاء الألمان الذين اختفوا ، وجاهدوا بقوة اليأس حتى صاروا من الأثرياء ، كانوا يعيشون باستمرار في حذر ويحيطون أنفسهم في جميع تحركاتهم بحرسهم الخاص ، وكثيراً ما لجأ بعضهم الى جراحة التجميل لاخفاء معالمهم ، وأغلبهم كانوا يختبئون في جهات نائية من البلاد التي لجأوا اليها ، في البلاد العربية يوجد كثير منهم قد أسلموا وهم يعيشون في وسط المواطنين المسلمين الذين لا يشتبهون فيهم ، وغيرهم لجأوا الى بعض الأديرة حيث لا يجهل أصحابها دائماً حقيقة شخصيتهم ، اذن فلم يكن روسلي هو النازي الوحيد الذي لجأ الى الشرق الأدنى ، غير خاف أن كثيرين من جنود النازي ومن أعضاء " الجستابو " كانوا موجودون في بعض المصالح الحكومية في القاهرة ودمشق وبغداد خاصة ، ان خبرتهم في التنظيمات البوليسية ودقتهم في تنفيذ المهام التي يكلفون بها تجعل معاونتهم قيمة جداً ، وعلى كل فان قليلاً جداً من الناس هم الذين يعرفون حقيقتهم وهذا ما يفسر عدم اهتمام محكمة دمشق بتركيز الضوء على هذه الناحية من القضية !

الكولونيل صلاح الدالي يسأل مجيد شيخ الأرض :

– " كم من المرات قمت بتوصيل كوهين عند روسلي ؟ "

– " لا أذكر حتى أني ذهبت أبداً مع كوهين عند هذا الرجل "

– " ألا تتذكر حقيقة ؟ أم تظن أنه لم يعد في وسعك أن تتذكر ؟ " .

– " افتكر أني لا أتذكر على الاطلاق يا سيدي الرئيس " .

– " يمكن تكون وصلت كوهين عند هذا الألماني الذي كان أيضاً جاسوساً ؟ "

– " جاسوس ؟ يا سيدي الرئيس ... لا أعلم أبداً أنه كان جاسوسا "

– " وحكاية سبرنجر ؟ هه ، ألا تعلم عنها شيئاً كذلك ؟ " .

– " هذا ؟ آه ... كان ألمانياً اعتاد الحضور بانتظام الى دمشق وكان ينزل في فندق الأمويين ، وقد عرفته في نادي الشرق ، كان يدعي أنه تاجر يا سيدي الرئيس ، ولكني لم أصدقه أبداً ، كنت أشك في أنه ينتمي الى اليد الحمراء " !

– " أمر غريب ، أنك إشتبهت في سبرنجر ولكنك لم تشتبه في كوهين ؟! "

– " أقول لك الحق يا سيدي الرئيس ، ان كوهين كان يشعرني دائماً بأنه رجل بسيط يهتم بأعمال واضحة جداً ، في حين أن سبرنجر كان عنده دائماً ألف حاجة في رأسه ، ومشغوليات عديدة محيرة " !

– " كوهين رجل بسيط ، هه ولماذا لم تبلغ أحداً أنك تشتبه في سبرنجر ؟ كيف أنك محشور دائما مع جواسيس ؟ أكنت تجهل أن سبرنجر كان متهماً بالتجسس ولكنه هرب ؟ ولما تعاشر الجواسيس يا مجيد ؟ لماذا كنت على إتصال وثيق بكوهين وروسلي ؟ ألم تكن تعلم أن روسلي جاسوس أيضا ؟ قل .. "

ـ " ياسيدى الرئيس . كيف كان يمكننى أن أعلم أنهم كلهم جواسيس؟ "

ـ " اخرس يا مجرم ، أنا الوحيد الذى يسأل أسئلة ، لماذا وصّلت كوهين عند روسلى ؟ "

ـ " ولكن يا سيدى الرئيس ، لم أوصله عند روسلى "

ـ " طيب ، طيب ، سترى يا مجيد وأنت ياكوهين ، ماذا تقول؟ هـه .. إحك لنا عن علاقتك بروسلى ؟ "

ـ " ذهبت عند روسلى مع مجيد ياسيدى الرئيس ".

ـ " ارفع صوتك ياكوهين حتى نسمعك، أين تفتكر نفسك؟ فى مدرسة؟ "

ـ " انى تحدثت مع مجيد عن روسلى الذى كان من معاونى ايخمان، وذهبت مع مجيد فى سيارته حتى كوبرى " نبق " وهناك أشار الى المبنى الذى كان يقطن فيه روسلى مع زوجته ، وذهبت عندهما ومكثت حوالى عشرين دقيقة "

ـ " أوصف لنا المنزل "

ـ " المبنى بشارع شهبور ، الثالث أو الرابع بعد البنك المركزى وأمامه حديقة كبيرة ".

وفجأة ينهض مجيد شيخ الأرض ويصرخ :

ـ " أنت تكذب ياكوهين ، أنت تحلم ! "

ـ " انه يتصور ... أليس كذلك يامجيد ؟ اخرس ياغشاش ، يا نصاب !

ـ " لكن يا سيدى الرئيس ... لا ، لا ، لا ".

ـ " اعترف أنك وصلت كوهين عند روسلى ".

- " لا يا سيدى الرئيس ، كل هذا كذب " !
- " أنت الكذاب ، احترم المحكمة التى تمثل أمامها " .
- " لا أعرف شيئاً ، أعتقد أنكم مخطئون ، لا أعلم " .
- " لنفرض أنك لم تصحب كوهين ، ولكن لماذا وما كان غرضك من تمكين كوهين من الاتصال بروسلى ؟ وأين تمت أول مقابلة بينكم أنتم الثلاثة ؟ "
- " لا أتذكر شيئاً " .
- " هل كنت تعلم من هو روسيلى ؟ "
- " علمت بمحض الصدفة أنه كان ألمانياً وأنه اشتغل أثناء الحرب فى قسم مناهض لليهودية " .
- " ولكنك كنت تجهل أنه جاسوس ؟ " .
- " أقسم لك يا سيدى الرئيس بأنى لم أكن أعلم ذلك " .

لم ينته بهذا الشكل استجواب مجيد شيخ الأرض فى هذه القضية التى اشتملت على أسماء ومسائل أخرى عديدة تتداخل كلها فى المحاولة الدائمة لاكتشاف جواسيس ألمان ونازيين سابقين ، وجواسيس ألمان آخرين يعملون لحساب اسرائيل ، وتجار سلاح ومهربين سواء الى الجزائر فيما مضى أو الى اليمن أو غيرها ... علاوة على النضال السرى بين بعض أقسام التجسس الأوروبية أو الأمريكية فى سوريا لضمان تصريف تجارة مربحة أو لاحلال نظام محل آخر ، فكلها ظلال واقصة فى " باليه " تشترك فيه المخابرات الأمريكية والانجليزية وغيرها من مراكز الاستعلامات السرية لمختلف الدول !..

ولكن قضية كوهين لا تهمنا في هذه الرواية إلا بدرجة ارتباطها مباشرة بجهاز الاستخبارات الاسرائيلي ، الكولونيل صلاح الدالي وسط هذه المسائل المتشابكة يستجوب ويهدد ويتميز غيظًا ثم يلين ويتلطف ، ويعود فينفعل ويهدد من جديد ويدق بقبضة يده ، ويصرخ ... انه في بعض الأحيان كان يتمنى لو أنه لم يكن في هذا المكان ... ومع ذلك فإن الصحافة الحكومية لا تكف عن امتداح القاضي الذي يدير المناقشات كلما توسع في القضية ، والكولونيل يفرح ويفخر بهذا المديح : فمن المحتمل أن تكون النتيجة ترقيته الى مركز هام وهادئ في وزارة الدفاع ... "جنرال" صلاح الدالي ، أركان حرب خاصة ، اهتمام وتملق من حوله ... أما الآن فهو يقوم بكافة وظائف المحاكمة : نيابة عامة محقق ، نائب أحكام ، قاضي الكرسي ، رئيس المحكمة ..!

– " هل سمعت باسم فون انتكا ؟ "

– " نعم يا سيدي الرئيس ، كان مدير القسم العربي في وزارة الخارجية الألمانية أيام حكم هتلر ، وأعلم أنه كان قد سافر الى الرياض منذ سنتين أو ثلاث وقال للصحافة أنه قد عُين مستشاراً سياسياً في العربية السعودية ".

– " هل تجهل أنه كان موالياً لليهود لأقصى حد ، وأنه بعد الحرب كلما كانت تثار مشكلة يهودية أمام الرأي العام ، كان فون أنتكا يتدخل دائماً لصالح اليهود ؟ "

– " هذا ممكن ، ولكن قبل نهاية الحرب لم يكن أي إنسان يمكنه أن يتصور مثل هذا التصرف ".

ـ " طيب.. كفى ، فلنعد الى كوهين وروسلى ، قل لى ياكوهين اليس صحيحاً أن مجيد أوصلك الى بيت روسلى لأنك كنت تلقيت رسالة من رؤسائك فى اسرائيل تأمرك بموافاتهم بتشبيه روسلى ؟ قل هل تلقيت مثل هذه التعليمات؟"

ـ " تلقيت برقية بالفعل يا سيدى الرئيس " .

ـ "متى ؟" .

ـ "أثناء قضية ايخمان " .

ـ " بالمناسبة يا كوهين ، مـاذا كانت خطة ايخمان ؟ " .

ـ " ايخمان كان نازياً عدواً للشعب اليهودى ، انه أعدم" ملايين" من اليهود وقبضوا عليه وأحضروه الى اسرائيل لمحاكمته فى مواجهة العالم ، وبحثوا أيضا عن معاونيه ... ولكن ليس كلهم بل أكثرهم أهمية يا سيدى الرئيس، وكنت مكلفاً بمعرفة من هم الألمان الموجودون فى سوريا وتحدثت عن ذلك الى مجيد " .

ـ " انه يكذب وكذاب ، انه يكذب ، آه ياكذاب .... انى أتوسل اليك أيها القاضى المحترم ، اذا كانت هذه المحكمة تريد أن تجبر كوهين على الاعتراف فانى أنا لا أريد أن أكون ضحية إتهامات ظالمة . "

ـ " اطمئن يا كلب ... انك ستعامل بالعدل ! "

وانتقل الاستجواب الى موضوع المعلومات الخاصة بتهريب أسلحة الى الجزائر "واليد الحمراء" . ويغضب الكولونيل الدالى ويندفع فى تعليق عنيف ضد الخونة والعملاء الذين باعوا أرواحهم لشياطين الصهيونية والاستعمار . ثم تعود المحاكمة.

الى نقطة انطلاقها ، ويطلب الرئيس من ايلى أن يدلى بأسماء العسكريين السوريين الذين اتصل بهم ، وعلى يسار الرئيس يجلس مساعده " سليم حاتوم " الذى كان كوهين يوافيه بالبنات الصغيرات اللاتى كان حاتوم يشعر نحوهن بميل خاص !... ويدير كوهين نظره فيمن حوله ويذكر الأسماء بهدوء :

ـ " الملازم خليل زفور ، الملازم سليمان الراجورة ، وكلاهما من وزارة الدفاع والملازم المتقاعد عبد العال سعيد والضابطان محمد دلون والمعز قومندان مطار المزة ... "!

ويذكر كوهين بعض أسماء أخرى ، والقضاة العسكريون يعلمون جيداً أنه يعرف أكثر من ذلك بكثير ، ولكنهم لا يدققون ، إذ قد يصل الأمر الى بعض كبار الضباط المهمين وحتى إلى إسم الجنرال الحافظ!

ـ " ماهى المصالح الحكومية وغيرها من مكاتب الدولة التى كنت تدخل منها؟ "

ـ " وزارة الاستعلامات ، مكاتب الاذاعة الأهلية ، البنك المركزى ، وزارة الخارجية ، وزارة الدفاع ، قمت ثلاث مرات بزيارة " الحما " فى أركان حرب الحدود و " بحل زيدى " و " بلودان " وكنت أعرف الملازم " معزى " ابن أخ الجنرال عبد الكريم زهر الدين ، وكنت صديق " موشيل صعب " أحد المهندسين المكلفين بأعمال تحويل مجرى روافد نهر الأردن . "

كانت المعلومات التى يحصل عليها من هذا الأخير ذات أهمية خاصة ،

ومن المعلوم أن مشروع تحويل مياه نهر الأردن كانت من نتائجه المنتظرة تجفيف مجـــراه ومنع وصول مياهه الى " النقب " عن طريق خط المواسير الأهلى " فوثيل هامايين ها أرتزى " إن مشكلة المياه بالنسبة لاسرائيل مشكلة " حيوية " وقد كررت حكومتهـــا بإصرار أنها تعتبر تنفيذ مثل هذا المشروع " كازوس بيللى " (أى موضوع حـــرب) شأنه شأن اغلاق مضيق " تيران " !

ويرغب الآن الكولونيل صلاح الدالى فى معرفة الطريقة التى كان كوهيـــن يستعملها فى إيصال معلوماته الى اسرائيل ٠

- " باللاسلكى يا سيدى الرئيس ٠ "
- " ماذا كانت تشمل التعليمات العامة التى لديك بخصوص سوريا ؟ "
- " موافاتهم ببيانات دقيقة على قدر الامكان عن الحالة السياسيـــــة يا سيدى الرئيس " ٠

- " اشرح ذلك ٠ "
- " فى يونية ١٩٦٢ سافرت الى إسرائيل عن طريق بيروت وأوروبــــا ، وأبلغت رؤسائى بعلاقات الصداقة التى كانت تربطنى بالضابط معزى زهر الديـــن فأمرونى بتنمية هذه الصداقة ، ولما عين قائداً لمنطقة حلب العسكرية ذهبـــت لزيارته ، وكان هو كذلك فى كل زياراته الى دمشق ينزل فى شقتى ، وقد لاحـــظ عندى مرة آلة راديو مزودة " بهوائى " لم يسبق أن رأى مثله ، وسألنى إن كـــان هذا نموذجاً جديداً ، فقلت له إن هذا الهوائى يسمح لى بالتقاط اذاعـــــة بوينس أيرس " !

- " وماذا كان موقفه ؟ " .
- " اكتفى بأن هز رأسه يا سيدى الرئيس " .
- " كمل يا كوهين " .
- " حصلت على معلومات ممتازة عندما اصطحبنى معزى فى إحدى جولاته فى الحما ، وكان يرينى أهم الاستحكامات والأجهزة المضادة للمدرعات وشبكة الخنادق تحت الأرض ، وقد أبلغت كل التفاصيل الى اسرائيل ، مرة أخرى كنت فى مكتبه فرأيت خريطة أركان حرب لمنطقة القنيطرة وأخذ يشرح لى ويدلنى على المرتفعات المرقمة التى كانت ستنشأ عليها إستحكامات جديدة " !!

كان "معزى" مصدر معلومات لا ينضب !.. وعمه ـ الذى كان وقتئذ رئيس أركان الجيش ـ وقد أشترك بصفة آلية تقريباً فى كل المؤامرات ، فقد كان من التقاليد الجارية فى سوريا ـ من بعد جلاء الفرنسيين ـ أن يشترك القواد العسكريون فى جميع المؤامرات ، الجنرال حسنى الزعيم : يطرده الجنرالان الشيشكلى والحناوى ويقوم الثالث بقتل الأول ولكنه يضطر الى الفرار إلى لبنان لأن الثانى استولى على الحكم ، ثم يقوم الجيش بالايعاز للاندماج إلى مصر الى أن يقوم هو نفسه بوضع نهاية لهذا الاتحاد ، ويلى ذلك الانقلاب الذى تم فى ٨ مارس ١٩٦٣ وسلم الحكم لحزب البعث ، ثم تأتى المؤامرات التى أوصلت الجنرال أمين الحافظ الى كرسى الرئاسة ، وهذا الأخير يموج بين مجلس الثورة ومجلس الكولونيلات فى شبه مطاردة من انقسامات وشكوك وفضائح وفصل ... فتارة ، الطيران يساند والمدرعات تناهض ، وتارة أخرى العكس بالعكس ، وفى النهاية ، يوم ٢٣ فبراير ١٩٦٦

تم التخلص من القادة التقليديين لحزب البعث ومن جميع ذوى السلطة المدنيين وحل محلهم الفرع المحلى للحزب والمكون فقط من ضباط متشددين ، وكان الكولونيل "سليم حاتوم" قد اشترك بشكل بارز فى الانقلابين الأخيرين ، واضطرت هذه السلطة اليسارية المتطرفة للالتجاء الى مساندة الفرق البروليتارية بقيادة "خالد الجندى" التى أخمدت محاولتين كانت إحداهما فى سبتمبر ١٩٦٦ بقيادة نفس الكولونيل حاتوم ، وقد عاد هذا الأخير من الأردن ، التى كان قد لجأ اليها ، فى يونية ١٩٦٧ بعد نشوب الحرب ، ولكنه قبض عليه هو والكولونيل جمعة الياور السابق للجنرال الحافظ ، واتهم باعداد انقلاب جديد لحساب الولايات المتحدة وحوكم أمام محكمة عسكرية استثنائية وأعدم بعد إثنى عشر يوماً رمياً بالرصاص !

وتمكن "معزى زهر الدين" بهذا الشكل من أن يطلع كوهين على كل المشاكل والحزازات التى نشبت فى دوائر السلطة العليا .

اعترف "معزى" فى المحكمة أن كوهين صحبه فى إحدى جولاته الى حلب وأنه إلتقط عدة صور فوتوغرافية فى الطريق ، كما إعترف أيضاً أنه نزل عدة مرات فى شقة كوهين بدمشق ورآه مرة فى الصباح يستمع الى إذاعة "صوت اسرائيل" ولكنه لم يعر ذلك أى اهتمام إذ كان كثيرون من العرب يستمعون إلى صوت اسرائيل ،

وروى أيضاً أنه رافق كوهين الى الحما فى منطقة الحدود ، واعترف أن كوهين قد رأى ودرس معه الخريطة المفصلة لمنطقة القنيطرة وأنه سأله عدة أسئلة والتقط تحت نظره عدة صور

فوتوغرافية للمنطقة بحجة أنه ينوى شراء قطع من الأرض فيها لاستثمارها ، وأنه لم يشتبه فيه فى أى لحظة .

— " لم تشتبه فى شئ ؟ والله ، إن هذا لا يصدق ، ألم يخامرك أى شك ؟ هه ، كنت تراه يعيش فى بذخ ، ينفق بدون حساب ، يقيم حفلات واستقبالات وينظم الليالى الحمراء لك ولأصدقائك ، ألم تستعجب لكل ذلك؟ هه .. يا ألله إرحمنا ، ولم تستغرب كذلك أنه يدفع ثروة فى شقة لم يستعمل منها الا غرفة واحدة ؟ أنت ستجعلنى أجن "!

وكان "معزى" هو نفسه الذى صرح بأن خمسة من الغرف السبع فى الشقة الفخمة كانت تبقى دون استعمال إلا بمناسبة الاستقبالات ، وكذلك أن كوهين — رغم تبذيره فى مصروفه — لم يستخدم فى بيته أية شغالة ، كان هو وحده الذى يقوم بجميع أعمال البيت من طبخ وغسيل الملابس وأدوات الطعام ويعنى بنفسه بصيانة هذه الشقة الواسعة .

— " انك لم تستغرب لكل هذا ؟ ولكن هذا جنون شيطانى "!
— " لا يا سيدى الرئيس ، انى لم أشتبه فى شئ "
— " لا ؟ حقيقة ؟ " .
— " لا ، وهل يمكننى يا سيدى الرئيس أن أعترف لك بشئ ؟ "
— " انك هنا لذلك يا معزى ، تكلم اذن " .
— " اننى ليس عندى قوة ملاحظة " .

الكولونيل صلاح الدالى يتنهد طويلاً ، وينظر الى جميع المتهمين واحداً بعد الآخر ، ويركز نظره خاصة على كوهين الذى لم يتحرك .

كان كوهين منذ شهر مارس ١٩٦٣ فى مركز يسمح له جيداً بمعرفة كل ما يجرى تحضيره ، كان له مكانه فى "البعث" وكان يمكنه أن يتوسط من أجل أصدقائه وفى يوم من الأيام لعب دور الرجل الذى لا يمكن شراء ذمته رغم قدرته على عمل أى شئ ، كانوا قد عرضوا عليه رشوة ألف دولار لتسوية موضوع الافراج عن بعض الأملاك العقارية ولكنه رفض بغضب وكبرياء قائلاً إن رجال البعث هم روح الثورة السورية وأن عهد الرشوة قد زال!.. وبهذا الشكل تمكن من عرض فكرة تأسيس فرع للحزب فى الخارج مما سوف يسمح له بالسفر دون إثارة الشكوك ، وكان يتردد على اسرائيل كل ستة أشهر ليزور عائلته بعد أن يعرج على أوروبا حيث كان "سالينجر" يزوده بالمال اللازم لتأدية مهمته .

كانت عودته الى اسرائيل تسعده ، حياته المزدوجة يعتبرها كجزء من مهمته ، فهو رجل بسيط يكرس نفسه لعائلته طوال مدة إقامته معها ، كان له والدة وخمسة أخوة وشقيقتان ، وزوجته نادية كانت قد أنجبت له بنتين وولداً ، وهذا الأخير كان عمره بضعة أيام فقط عندما تركه والده فى آخر سفر له .

بعكس الشقة الفخمة التى كان يقطنها فى دمشق ، كان سكنه فى "باش يام" - وهى قرية صغيرة قريبة من تل أبيب - متواضعاً : مجرد غرفتين لم يكتمل تأثيثهما بعد ، وكانت عائلته تتسلم شهرياً مبلغ ستمائة فرنك!

لما أعلن نبأ القبض على كوهين فى دمشق ، بذلت نادية جهودًا كبيرًا لتضمن له الدفاع عن قضية عادلة !.. فسافرت الى باريس مع أحد أشقائه بأمل تدخل بعض الأوساط ذات النفوذ ، وحاولت مقابلة السفير السورى ليسمح لها بأن تكون بجوار زوجها أثناء محاكمته ، ولكن كل المساعى باءت بالفشل رغم سفرياتها العديدة الى باريس ، ولم يسمح لأحد بأن يذهب الى دمشق لمساعدة ايلى كوهين فى قضيته ، وفى هذا الصدد يقول الاستاذ جاك مرسييه لأحد أصدقائه لدى مروره ببيروت فى آخر مرة : " كنت آمل أن أتمكن من انقاذ كوهين ، إن هذا يبدو من الجلون ، إن الصراعات الداخلية فى حزب البعث كان فيها ما يمكننى من المناورة ، ولكن الحافظ ومن معه لم يقبلوا أن تكون قضيته علنية ، كانوا يريدون أن يموت كوهين دون أن يقول أشياء يمكن التحقق من صحتها ..." !

وكان من بين أصدقاء كمال أمين ثابت الذين كانوا يشتركون فى الحفلات الليلية اللذيذة التى كان يقيمها ، أحد كبار الضباط ، الكولونيل "سليم حاطوم" فقد إعتاد أن يتلاقى مع خليلته فى شقة كوهين .. ومن المعلوم أن سليم - بقواته المدرعة - قد ساعد الجنرال أمين الحافظ على تولى الحكم ، وكانت هناك اشاعة تدور فى دمشق : بأن حاطوم وكوهين قد إتفقا على أن يقول هذا الأخير أنه لا يعرف الكولونيل حاطوم ، ومقابل ذلك كان حاطوم يضمن لكوهين أن يحصل على عفو الجنرال الحافظ .. وهذه الاشاعة تلقى بعض النور على الحوار الاتى فى المحاكمة :

- " راديو بغداد يؤكد أن سليم حاطوم كان من بين دائرة أصدقائك هل هذا حقيقى يا كوهين ؟ "

- " هذه أول مرة أرى فيها الضابط سليم حاتوم ياسيدى الرئيس "
- " إذن ، هم أصبحوا مجانين فى بغداد ؟! "
- " بدون شك ، أوقد يكونون من العملاء الاستفزازيين " !
- " يعنى عملاء مثلك ياكوهين ؟ هه .. " !
- " ليس عندى أى فكرة ياسيدى الرئيس ، أما أنا فقد كنت موفداً فى مهمة " !
- " موفداً فى مهمة ؟ من يسمعك ياكوهين يظن انك كنت تؤدى واجباً أما الآخرون فهم عملاء مأجورون ، مرتزقون ؟ .. هه .. أنت لا تقول شيئاً .. عندك صديق طيب ياكوهين ، انه هاشم أبو زهار الكاتب فى جريدة " المحرر " إن هذا الصحفى يدافع عنك .. وليس هو الوحيد ، يوجد أيضا كمال مروى صاحب جريدة " الحياة " انك لا تخلو من المدافعين كما أرى .. هؤلاء الكتبة مأجورون من اسرائيل للدفاع عنك والقذف فينا ، إن هذا المال الذى تصرفه حكومتك للدفاع عنك ياكوهين ، هذا المال هو ملكنا ، إنه مال البترول الذى يدفع الى الاستعماريين واسرائيل ، جريدة الحياة تدعى أن كل ضباطنا من أصدقائك " !
- " ولكن ياسيدى الرئيس ، إنى لم أعرف إلا أربعة ضباط " !

ان هذه القضية الغريبة افتتحت فى ٢٨ فبراير ١٩٦٥ وانتهت فى ١٩ مارس ، وعشرات من الشهود بين مدنيين وعسكريين ، أدلوا بشهاداتهم

فيها ، وأخيراً انعقدت المحكمة العسكرية فى أول مايو وأعلنت الحكم التالى :

" بالنظر إلى الوقائع والادلة المقدمة للمحكمة ،

" وبالنظر الى اقتناعنا المؤيد بالشهادات ،

" تقرالمحكمة بأن المتهم ، إليا هو بن شاؤول كوهين ، الذى إنتحل اسم كمال أمين ثابت ودخل منطقة " العال " وهى منطقة عسكرية محظورة بغية الحصول على معلومات مفيدة للعدو ،

" وبالنظر الى أن الدخول بدون تصريح فى منطقة عسكرية يعاقب عليه بالاعدام تطبيقاً لنص الفقرتين ١٥٨ و ١٥٩ من القانون العسكرى ،

" وبالنظر الى أن الحصول على معلومات عسكرية من المحتمل أن تكون مفيدة للعدو والتى يجب أن تبقى سرية لضمان سلامة الدولة ، يعاقب عليها بالاعدام تطبيقاً لنصوص الفقرات ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٤ من القانون العسكرى ،

" وبموجب الفقرات السابق ذكرها من القانون العسكرى ،

" وبموجب الأمر الدستورى رقم ٦ بتاريخ ٧ يناير ١٩٦٥ والمعدل بالامر الدستورى رقم ٣٣ بتاريخ ٩ فبراير ١٩٦٥ ،

" قررت المحكمة أن المتهم الياهو بن شاؤول كوهين ، وعمره أربعون سنة والمقيم فى تل ابيب بشارع بات يام ، فى فلسطين المحتلة ، مذنب بالنسبة لكافة أوجه الاتهام ،

" وتحكم المحكمة باعدامه شنقاً .

" وتم النطق بهذا الحكم حضورياً ويجب تأييده من رئيس المجلس الرئاسى

وصدر اليوم ، أول مايو سنة ١٩٦٥ في دمشق ، وقرئ علناً ..

" امضاء (كولونيل صلاح الدالي ، رئيس المحكمة العسكرية الخاصة "

ولم يعلن الحكم إلا بعد بضعة أيام من صدوره في يوم أول مايو لأن السلطات السورية كانت تريد تأخير إذاعته بقدر الامكان لتترك أقل وقت ممكن للتوسط ، صحيح أن الصحافة والراديو الاسرائيليين كانا قد إمتنعا كلية عن الإشارة إلى القبض على ايلي كوهين ومحاكمته ، ولكن باقي العالم كان مهتما بمأساة مصيره !

توسط البابا بول السادس مرتين لدى الرئيس السوري ، كما توسط مرتين الرئيس الايطالي ساراجات ، بذل كثير من المساعي من أمثال ادجار فور ، نقابات عمالية عديدة ، حائزين على جائزة نوبل ، ديفنباكر ، لورد راسل ، لجنة حقوق الانسان ، ملكة بلجيكا الوالدة ، وكثير غيرهم من الشخصيات ، وحتى سفير الارجنتين في دمشق الذي لاحظ أن كوهين كان قد حصل على الجنسية الارجنتينية تحت اسم كمال أمين ثابت !

في الواقع ، منذ ساعة اعلان الحكم ، كان مصير ايلي كوهين بين يدي الجنرال الحافظ رئيس مجلس الثورة ورئيس الدولة السورية ، وهو الوحيد الذي كان يمكنه تخفيف حكم الاعدام الذي يقع تحت طائلته كوهين .

ومن المعلوم أن الظروف كانت قد جمعت بينهما : في بوليس ايرس ثم في قصة المعطف الفرو ، وفي أثناء التحقيق حيث كان الجنرال الحافظ قد أراد إستجوابه

بنفسه ، ومن الجدير بالذكر أيضا أنه عندما سافر الجنرال الحافظ الى باريس للعلاج ، كان الجراح اليهودى الشهير الدكتور "كيس" هو الذى أجرى له العملية الجراحية الدقيقة التى نجحت بحيث رأى الرئيس السورى أن يعبر عن شكره للجراح اليهودى ، ولما حكم على كوهين بالاعدام ، حرر البروفسور "كيس" خطاباً الى الجنرال الحافظ ليطلب منه العفو عن ايلى كوهين ، ذاكراً فى رسالته أنه يتجه اليه بدوره فى " مسألة حياة أو موت "!

.. إن العواطف لا يقام لها وزن عند دوافع الدولة العليا ، وعلاوة على ذلك فإن من المحتمل أن يكون الحافظ نفسه قد تورط لدرجة ما فى إحدى الفضائح ، على كل حال فإن الحافظ أصم أذنيه لكل الإلتماسات والضغوط ولزم الصمت الكامل .. وقد لوحظ وقتئذ أنه كان يتحاشى الظهور فى الاجتماعات وأنه ضاعف عدد حرسه الخاص ، وكان المسعى الذى قام به الكردينال " بلاسيوس" الارجنتينى من أكثر المساعى المثيرة للعطف ، فقد وجه هذا الاسقف العجوز رجائه الى السلطات السورية بطلب العفو ، ذاكراً فى رسالته المؤثرة أنه يعبر فيها عن وصيته الأخيرة !.. ولكن دون جدوى !.. كما قام بعض الكرادلة العرب بتوجيه نداء أيدته الجالية السورية فى نيويورك !..

وفى هذه الأثناء كان يقوم فى اسرائيل سعى واسع جداً تحت ستار عدم التدخل الرسمى ، لتأمين محاكمة عادلة أولاً ، ثم لمحاولة العفو عن كوهين ، ويقول الاستاذ مرسييه الذى قبل القيام بالتوسط ، فى إطار هذا المسعى : " ان اسرائيل كانت مستعدة لأى شئ فى سبيل إنقاذ ايلى كوهين ، ولا أظن أن أية دولة

بذلت أكثر منها من أجل عميل ضائع ، لما ذهبت الى دمشق للمرة الثانية والثالثة
كنت أحمل كشفاً بأسماء ثمانية أو عشرة سوريين ينفذون في اسرائيل أحكاماً بالسجن
لمدد تتراوح من ثلاث سنوات الى عشرين عاماً لأعمال التجسس والتسلل والتخريب
وقلت لوليد طالب وزير الرئاسة ، وللاتاسى سكرتير رئيس الوزارة ، إن اسرائيل مستعدة
لتسليمهم الى سوريا مقابل الافراج عن كوهين ، وأضفت الى ذلك أن في وسع
سوريا الحصول على توريدات طبية وصيدلية قيمتها مليونان من الفرنكات الفرنسية
ويمكن القول بأن الاسرائيليين كانوا على إستعداد لاكثر من ذلك بكثير لانقاذ
عميلهم " !

ولكن بعد تفكير أجاب الرجلان : بما أن سوريا لا تعترف بدولة اسرائيل
فلا محل للتفكير في أي نوع من المساومة !

ومع ذلك فقد تمكن الاستاذ مرسييه من مقابلة رئيس الأمن السورى
« احمد السويدانى » المسئول عن القبض على كوهين والذى أظهر منتهى
التصميم فى المطالبة برأسه ، فقد كانت إدارته هى المعنية بهذه القضية خصوصاً
وأنها هى التى ظلت مخدوعة هذه المدة الطويلة ، وفى حديثه مع الاستاذ مرسييه
سأله بخشونة ، إن لم يكن هو أيضاً عميلاً لإسرائيل ؟ فأفهمه مرسييه أنه ليس
من عادة أعضاء مهنته (المحاماة) أن تلعب مثل هذه اللعبة ، بل إنه هو
شخصياً كان قد دافع بكل عواطفه عن رجال من العرب !

لعبة الشطرنج المعقدة!

قد يرى البعض أن كوهين لم يكن سوى قطعة فى "لعبة الشطرنج"
التى تدور فى الشرق الأوسط ، وأنه لم يخرج من عداد النكرات إلا المعقدة
وعن طريق قضية أريد لها أن تكون عبرة لمن يعتبر ، ولكن الأمر بمحض الصدفة
ما قام به بلغ درجة إستثنائية ، ومساهمة مثله من الرجال ليس كذلك ، فإن
توجيه المباراة توجيهاً حاسماً ، ومن جهة أخرى فإنه لم تكن قليلة التأثير فى
نظرا للمكانة التى إرتقى اليها . كان قطعة ذات أهمية خاصة

وللاختصار يمكننا القول بأن قضية كوهين كانت تقع فى ملتقى الطرق لثلاثة
نضالات سياسية يجب النظر إليها فى إطار أوسع من مجرد حالة تسلل ، وعلينا
أن نحاول وضعها فى مركز تشعباتها القريبة والبعيدة فى كل من السياسة الداخلية
والسياسية الخارجية السوريتين وفى المباراة المعقدة للسياسة الدولية فى الشرق
الأوسط .

فلنقل أن هذه القضية برزت على شكل ثلاثة أوجه أو مظاهر : الأول وهو
المظهر السورى يمكن تصويره كلعبة "بوكر" على الطريقة العربية بين ثلاثة اتجاهات
سورية ، والثانى يكمن فى التكتيك المصرى الذى كان يريد استغلال القضية
ضد السوريين ، والثالث يتعلق بالسياسة الاسرائيلية ، ويمكن الشعور بتأثير هذه

الأوجه الثلاثة بمجرد النظر الى ظروف إلقاء القبض على كوهين ، لما حضر الفريق أول " على عامر " للتفتيش على الاستحكامات السورية على طول الحدود الاسرائيلية ، كان ايلى كوهين هو المدنى الوحيد الذى إنضم إلى مرافقيه ... وتقول الصحافة الموالية لعبد الناصر أن تلك الزيارة هى التى أدت إلى اكتشاف واعتقال ايلى كوهين ، وتفسر ذلك بأنه من بين الصور الفوتوغرافية العديدة التى نشرت فى هذه المناسبة ، كان ايلى كوهين يظهر على احداها بجوار الجنرال المصرى ، وقد أثار ذلك اهتمام المخابرات المصرية التى أمكنها التحقق من شخصيته وأنه فى الحقيقة يهودى من الاسكندرية .... وليس هو " ثابت " البعثى أو السورى ، فبادرت بإبلاغ ذلك الى إدارة الأمن السورية التى قبضت على كوهين بالطريقة التى نعرفها ...

إلا أن إدارة الأمن السورية كذبت هذه الرواية تكذيباً قاطعاً ، وأكدت أن القبض على كوهين كان من عملها هى وحدها ولم يشترك فيه المصريون بأى شكل ، ويقول السوريون انهم لاحظوا أن بعض القرارات الهامة التى كانت تتخذها السلطات السورية فى المساء أو حتى فى الليل كان راديو اسرائيل يذيعها فى صباح اليوم التالى ، كما أن بعض أسرار الدولة المعروفة لعدد قليل جداً من القادة كانت تصل الى علم اسرائيل قبل أن يطلع عليها كبار الشخصيات السورية ، وقد حدث أن تقريراً سرياً قدمه الأمين العام للجامعة العربية ـ عبد الخالق حسونة ـ الى مؤتمر القمة العربية قد أذيع نصه من راديو اسرائيل ، وكان المصريون يؤكدون أنه لابد من أن يكون هناك مصدر قريب من أحد الوفود العربية يعمل لحساب اسرائيل ، وأخيرا فقد لاحظ الخبراء أن قوة الطيران الاسرائيلى التى ضربت المراكز

السورية فى نوفمبر ١٩٦٤ قد أصابت بدقة مذهلة جميع الأهداف السرية ، فمن الواضح اذن أن لدى اسرائيل معلومات مفصلة عن جهاز الأمن السورى على طول حدودها ، ألم يكن كل هذا دليلاً على أن عملاء اسرائيليين تمكنوا من التسرب الى أعلى دوائر الحكومة السورية ؟ بالإضافة الى ذلك فقد لوحظ أن راديو اسرائيل كان يذيع أخباراً عن سوريا بسرعة تدعو الى إستبعاد تبليغها عن طريق البريد مما جعل المخابرات السورية تستنتج أن عملاء إسرائيليين مقيمين فى سوريا كانوا يبلغونها باللاسلكى إلى من يهمهم الأمر فى بلادهم ، فكان عليها اذن البحث بدقة عن أية اذاعات تصدر من الأراضي السورية ، وهكذا اكتشفت أن اذاعة سرية تصدر كل صباح فى ساعة محددة من شمال دمشق ، فلم يبق عليها إلا أن تحدد بالطرق الفنية النقطة التى تصدر منها داخل هذه المنطقة ... وهكذا توصلوا الى شقة كمال أمين ثابت أو الجاسوس الاسرائيلى "إيلى كوهين" .

وهناك رواية أخرى تعزو إكتشاف كوهين إلى مجرد الصدفة ، وهى أن الجيش السورى كان قد تلقى من الإتحاد السوفيتى أجهزة " رادار " جديدة وصدرت تعليمات الجيش بايقاف جميع الاذاعات الرسمية من دمشق فى أثناء اختبارها ، غير أن كوهين الذى كان يجهل هذه التعليمات إستمر فى اذاعته المعتادة أثناء ساعات المنع ، وهكذا تمكن الجيش السورى من الاستدلال على نقطة صدور الاذاعة ومن ثم ألقى القبض على ايلى كوهين ... غير أن الانسان قد يتساءل كيف أن كوهين (الذى كان واسع الاطلاع على الشئون السورية) لم يكن يدرى بوصول الرادار السوفيتى وبالتعليمات التى صدرت بشأن تجربته !

يبدو من كل ذلك ومنذ بداية قضية كوهين أن التنافس والتوتر كانا يسودان بين البلاد العربية بشأنها ، ومن الثابت أن المصريين وحلفاءهم العراقيين حاولوا طوال القضية استغلالها ضد السوريين ، كانت الصحافة العربية تصف كوهين بأنه "جاسوس ساحر" .. ولما كان السوريون قد اتهموا المصريين باذاعة بعض البيانات السرية عن الطيران السورى ، فقد كانت الجرائد المصرية ترد عليهم بتهكم : "أى أسرار يمكن اذاعتها عن سوريا بعد كل ما قاله كوهين ؟! "

لا شك فى أن العلاقات بين مصر وسوريا كانت تعانى من نكسة إنفصام اتحادهما ، وكانت أبرز نتيجة لذلك هى المنافسة الدائمة بينهما سواء فى الاشتراكية العربية أو فى الدعاية للوحدة العربية ومناهضة الصهيونية ، فمن ناحية : ناصر الذى تخيل نفسه خليفة لصلاح الدين ، ومن الأخرى : "البعث" الذى يرى أنه هو الذى سيعيد الحياة الى مجد العرب ..!

كانت الصحافة الناصرية ويساندها الراديو العراقى بدافع العداء للبعث ، تعمل جاهدة لتضخم حجم القضية تهزأ بالقادة السوريين الجدد وتبرهن على عدم كفاءتهم فى حكم البلاد وحمايتها من الصهيونية ، انها الرغبة الواضحة فى النيل من مركز سوريا مع التشكيك فى فعالية جيشها ومخابراتها ، والإستهزاء بمحاولتهما الافتخار بانتصارها على المخابرات الاسرائيلية . كانت الحجج واحدة : "لاثقة فى البعث " اذ أن الجاسوس الصهيونى كان يقابل الوزراء ويعرف أسرارهم ، ثم "فساد البعث" إذ كان الجاسوس الصهيونى ينظم الحفلات الجنسية لعدد كبير

من أرقى شخصيات المجتمع البعثى ، وأخيراً "عدم كفاءة "البعث" إذ أن الجاسوس الصهيونى لم يكتشف إلا بفضل المخابرات المصرية ... إن هذه الصحافة المعادية وهى التى ذكرت كثيراً من التفاصيل عن تسلل كوهين إلى داخل حزب حكومى عربى ، كانت بذلك تزيد فى قيمة نجاح كوهين : بأنه لم يكتف بالحصول على معلومات عن القرارات التى تتخذ ، بل إنه حقق الحلم الذى يحلم به كل جاسوس وهو أن يكون مركزه عند نفس المصدر الذى يتخذ هذه القرارات .

وقد تأثرت هذه القضية أيضاً بالمناورات والتقلبات العديدة للسياسة السورية ، أى بالصراع الجارى بين البعثيين أنفسهم ، لم تكن قضية بسيطة بل انها قد تؤدى الى زعزعة النظام فى دمشق . كان كوهين قد تسلل الى داخل البعث وتبرع بمبالغ جسيمة للوطن والحزب ، وتعهد بأن ينشىء خلية للحزب فى الأرجنتين حيث توجد جالية كبيرة من العرب أغلبهم من السوريين ، مما كان يتيح له السفر الى الخارج ، أو بمعنى آخر أن يبقى على اتصال مباشر بالمخابرات الإسرائيلية ويتوجه لمدد قصيرة الى اسرائيل لزيارة عائلته ، وكانت الصحافة الناصرية مع عدائها لحزب البعث تذعن للدواعى التى تدفع كافة صحف العالم للتنافس فى ذكر التفاصيل المشوقة ، وفى هذا المجال وجدت منجماً ذهبياً : الهدايا من المجوهرات والفرو وحفلات الاستقبال التى كان يحييها كوهين فى شقته والتى كانوا يشبهونها بالليالى الحمراء الشرقية والتى كان يؤمها كبار ضباط الجيش الذين كانوا يفقدون غطرستهم عند "ملامسة" الشابات الجميلات اللاتى كن يستقبلنهم فى صالونات كوهين ، وكان كل شىء يجرى فيها تحت سمع وبصر الحاضرين ، حتى لقد قيل أن كوهين كان يلتقط

صوراً فوتوغرافية فاضحة ... وكان يستعملها كسلاح للتهديد والإبتزاز الأدبى ضد
الضباط المتورطين ... "قل لى هذا ثم ذاك وسأعطيك الصورة " والنيجاتيف"
فكان الضباط يمتثلون ، وبذلك كان يحصل على تفاصيل قيمة عن تنظيم الجيش
والقرارات العسكرية والخرائط وغيرها من الأسرار!

وذكرت أيضا هذه الصحف أن مركز ايلى كوهين فى البعث كان قوياً لدرجة
أنه قد دعى للاشتراك فى جولة قام بها صلاح البيطار رئيس الوزراء السورى
الى الأردن ، وقبل القبض عليه ببضعة أيام كان هذا "المجاهد المتحمس "
قد تمكن من أن يتقدم كمرشح لعضوية الإدارة العامة للحزب !

كان ايلى كوهين فى ذلك الوقت يمارس عمله مع عدو أقل صلابة مما هو الآن
لم تكن سوريا قد اعتنقت بعد هذا النوع من "الاشتراكية" ...
وكان يساعد ، أيضاً جو التفكك والصراعات
الداخلية بين "المتشددين"و" الأحرار" من حزب البعث ، كان الأحرار يرون
مساندة النظام أمام العالم بأن يسمحوا بالدفاع عن كوهين وبأن تكون القضية علنية
حتى لا يتهمهم الرأى العام بالفساد وعدم الكفاية ، وكان "المدنيون" فى الحزب
حيارى ، يرغبون فى أقصى ما يمكن من الصمت والكتمان خشية اثارة فضائح رجال
الحكم ، أما "الأقوياء" المتشددون فكان غرضهم الأساسى هو "تدمير" الجنرال
الحافظ ، وكانوا يرغبون فى قضية سرية ولكنها " رنانة " بالنسبة لمنافسيهم!

فى أوائل شهر فبراير تلقى الأستاذ "مرسييه" من وزير الرئاسة فى دمشق تأكيدات صريحة بأنه سيسمح للمحامين الفرنسيين مع زملائهم السوريين بمقابلة كوهين بمجرد الإنتهاء من التحقيق ، ثم الدفاع عنه .

وكان قبل ذلك قد صدر المرسوم رقم ٦ بتاريخ ٧ يناير ١٩٦٥ بإنشاء محكمة عسكرية خاصة ينحصر إختصاصها فى القضايا المتعلقة بالأمن الداخلى للدولة ، وكان الغرض منها فى الواقع هو "تخويف" التجار والبورجوازيين وغيرهم من المحتكرين والمعادين للنظام البعثى الجديد ، فكانت المحكمة تنظر فى "الأعمال المناهضة لتطبيق النظام الاشتراكى ومخالفة القرارات الاشتراكية وزعزعة الثقة واحتكار المواد الغذائية وتهريب الأموال السائلة ..." ولكن فى ٩ فبراير إمتد إختصاص المحكمة ليشمل قضايا الخيانة والجاسوسية ، فنظرت لأول مرة قضية اثنين من السوريين متهمين بالتجسس لصالح الولايات المتحدة ، وبهذه المناسبة قامت المحكمة بتطبيق نص المادة السادسة من المرسوم رقم ٦ التى كانت تسمح لها بعدم إتباع الاجراءات القانونية وقد فسرتها برفض وجود محام للدفاع عن المتهمين ، اذ كانت تنص فقط على وجود القضاة من ناحية والمتهمين من الناحية الأخرى ، ولا نص فيها عن الاجراءات أو المحامين أو الجمهور ، سوى ما قد يسمح باذاعته عن طريق التليفزيون ، وفى يوم ١٢ فبراير تمكن سكان دمشق من مشاهدة أحد الجاسوسين مشنوقاً فى ميدان السوق أما الثانى فكان ضابطاً فى الجيش السورى ، وقد أعدم رمياً بالرصاص ، وفى نفس هذا التاريخ كانت برقيات وكالات الأنباء تعلن عن قرب النظر فى قضية كوهين .

إن تقديراً خاصاً كان يشهد به الحافظ لكوهين يلمس من بعيد الوجه السياسى للقضية ، ويؤيد أنه كان يعلم أن كوهين قد لعب دوره حتى بعد القبض عليه وأنه لم يبح إلا بما كان يمكن التسليم به دون خيانة ، وأنه كان لا يزال يحتفظ بعدة خيوط فى يده ٠٠٠ كان الحافظ يعلم ذلك ولكنه لم يحاول قطعاً أن يجعل كوهين يبوح بآخر الأسرار التى يحتفظ بها ، لأن سكوته بالنسبة لبعض المسائل يضمن صمته بالنسبة لغيرها ، لاشك أن هذه القضية كان لها عدة وجوه سياسية ، يذكر بعضها الجنرال الحافظ فى بيانه حيث يقول : " لا نزاع فى أن ايلى كوهين كان قد وصل الى دمشق مكلفاً بمهمة الوصول إلى أهداف معينة ، وقد قامت عناصر سياسية أجنبية عديدة بمتابعة ضبطه والتحقيق الذى تبعه باهتمام كبير ، وكثيرون أيضاً قد بذلوا الجهود لإنقاذ حياته ، أشبعونا برقيات فى هذا الشأن وعرضوا علينا تعويضات قيمة ولكننا لم نتكلم واكتفينا بالإبتسام لما بلغتنا الاشاعات بأن كوهين كان قد نجح فى التسلل إلى الدوائر الحكومية السورية وفى الإتصال بقادتها ! "

ويفهم من هذا التصريح أن مصير ايلى كوهين كان مقرراً من قبل .

فقد كان الجنرال أمين الحافظ بصيراً بمصلحته لدرجة لا تسمح له بانقاذ

حياة الجاسوس الاسرائيلي ، كان يرى أن ذلك سوف يعتبر نصرًا للمخابرات الإسرائيلية وهذا ما يجب تجنبه بأى ثمن ، ولابد من مراعاة الرأى العام فى سوريا ، اذن لا بد من عزل ايلي كوهين ومنع أى إتصال بينه وبين أى شخص أجنبي يحتمل أن يصرح له ببعض التلميحات ، وفوق كل ذلك كان لابد من عدم تمكين هذا الرجل المطلع على خفايا البلاد من فضح ضعف النظام السورى فى عهد أمين الحافظ ... على كل حال فإن هذا النظام لم يستمر طويلاً بل إنهار بسرعة !

علينا الآن أن نلمس الوجه الثالث لقضية كوهين ، وهو الذى يتعلق بالسياسة الاسرائيلية ، إن الرجوع الى " عيزر هاريل " الذى أطلقوا عليه " أغمض رجل فى إسرائيل " قد يلقى بعض الضوء على هذا الوجه ، هاريل هو أحد الذين اشتركوا فى القبض على ايخمان ، ترك الوظيفة التى كان يشغلها فى رئاسة الوزارة على أثر خلاف نشب بينه وبين رئيسه المباشر حول ضرورة شن حملة ضد ألمانيا بسبب وجود علماء ألمان فى مصر ، كان بن جوريون يميل إلى التقرب من " بون " لدواعى الأمن والاقتصاد وبالتالى كان يرى التخفيف من هذه الحملة ، أما اسحاق هاريل فكان يرى أن وجود هؤلاء الخبراء والعلماء الذين فى مصر يشكل تهديداً خطيراً يجب إزالته ، ولما كان بن جوريون لا يحب مناقشة وجهة نظره فقد إستقال اسحاق هاريل من منصبه ، ثم جاء رئيس الوزراء الجديد " ليفى أشكول " وكان وزيراً للدفاع فى نفس الوقت ، ورأى الإستفادة من خبرة هاريل الذى كان طوال خمسة عشر عاماً يحمل كافة أسرار الدولة ، فعينه " مستشاراً للشئون الخاصة " وهى تسمية لم تخدع أحداً ، ولكن هاريل كان يريد أن يقوم بعمله بشكل جدى فى حين أن تعيينه

لم يكن فى الغالب إلا مناورة سياسية داخلية ، فنشبت خلافات جديدة وقـــدم هاريل إستقالته مرة أخرى !

هاريل ـ الذى لم يتفوه بكلمة واحدة طوال هذه السنين العديدة الـــتى خدم فيها الحكومة الإسرائيلية ـ قام بنشر خطابات وإلقاء محاضرات والإدلاء بأحـاديث صحفية ... وقـد وصف العميل السرى كما يتصوره ...

سئل مرة عما يراه فى العملاء الذين يتشبهون بـ " جيمس بوند " وعـما إذا كان يقـرأ مؤلفات " ايان فليمنج " فأجاب: "على قدر ما سمعته عن جيمس بونـــد وأعترف بأنى لم أقرأ أى كتاب من الكتب التى تصف مغامراته ـ فإنى أرى أن هـــذه الشخصية ليست واقعية ، إن الأمور تجرى بشكل مختلف جداً ، إننا قمنا بتكويـــن جيل من العملاء يختلف كلية عن هذه الشخصية ، لم نسمح أبداً للمغامرين بالدخول فى صفوفنا ، وبالعكس فقد إنتحينا للمهام الدقيقة رجالاً وجدناهم ـ بعد فحـــص عميق لصفاتهم المعنوية واتزانهم الذهنى ـ قادرين على مقاومة المغريات والأخطـار التى تتوالى على مدى حياة العميل السرى ! "

وفى رأى هاريل أن شبكات التجسس هى جزء من حرب " الأمخاخ " مضافا إليه القدرة على التنفيذ ، ويعود هاريل ـ فى تصريحاته كرئيس سابق للمخابرات الاسرائيلية ـ الى الكلام عن سبب إستقالته الأولى فيقول : إن العلماء الألمـــان الموجودين فى مصر كانوا فى أغلبيتهم من النازيين السابقين وكانوا فى سبيلهم الـى تأسيس صناعة ذرية حربية فى مصر ، وقد تم الضغط على جمهورية ألمانيا الاتحاديـة لإستدعائهم ، وأرسلت تهديدات إلى العلماء الألمان ، فضلاً عن الطرود الملغمـة وقد أصيبت سكرتيرة أحد العلماء بفقد بصرها عندما فتحت طرداً موجهاً اليه فانفجر فى وجهها ، واستدرجت إبنة عالم آخر من أشهر العلماء إلى سويسرا وضغط عليهـا لتقنع والدها بمغادرة مصر ، غير أنها أبلغت السلطات السويسرية ، فقامت بضبط عميلتين اسرائيليتين وطردتهما !

ولقد قمنا بتحقيق فى هذا الصدد وبسؤال أحد كبار الموظفين فى حكومة بون عن سبب عدم إستدعاء هؤلاء العلماء فأجابنا : "إن أكبر خطأ إقترفناه فى الماضى هو أننا نسينا روح الديمقراطية مما سمح بإنشاء أدمى الديكتاتوريات، ولا تريد ألمانيا الجديدة الوقوع فى نفس الخطأ ، ومن المعلوم أن أحد المبادئ الأساسية فى الديمقراطية هو حرية التنقل للفرد ، كيف يتسنى لحكومتنا أن تمنع مواطنيها من التوجه للعمل فى أى جهة يريدونها ؟ إن سحب جواز سفرهم لمنعهم من الذهاب الى البلد الأجنبى الذى يختارونه للعمل فيه سوف يعتبر عملاً غير ديمقراطى وخطيراً جداً "

أما ... هاريل فله رأى آخر فى هذا الصدد فيقول :

" لولا الحملة الصحفية التى قمنا بها ضد العلماء الألمان فى مصر لكان التعاون بين مصر وألمانيا فى هذا المجال المهم قد توسع ونما ، أما الآن فأعتقد أنه لم يعد يوجد فى مصر أى عالم ألمانى مشهور ، أما بالنسبة لتدخل الحكومة الألمانية بصفة مباشرة فى هذا الشأن ، فإنى أرى أنه كان يمكنها القيام به دون أن تتهم بخرق المبادئ الديمقراطية ودون أن تضطر لسن قوانين جديدة ، فما كان على الحكومة الألمانية إلا أن تتخذ موقفاً واضحاً وحاسماً ضد الخبراء وضد المؤسسات التى كانت تورد المواد اللازمة لصناعة الحرب المصرية ، وكان عليها أيضا أن تدعو الأحزاب السياسية والصحافة المقربة اليها - إلى استنكار نشاط هؤلاء الرجال لخلق جو مناهض لهم ، مع تجميد موقف أحزاب المعارضة فى إطار سياسة موحدة بالنسبة لهذا الموضوع، كان يمكنها أن تضطر العلماء الى مغادرة مصر لوكانت

اتخذت إجراءات مشددة ضد المؤسسات والشركات التى كانت تساعدهم ، كـــان يجب على الحكومة الألمانية أن تصمم – اجتماعياً وسياسياً – كل الذين يساعـــدون المجهود الحربى المصرى ، وأن تحرم الشركات التى تقوم بتوريد المهمات اللازمـــة لعمل الخبراء الألمان فى مصر من الطلبات الحكومية ، كان يجب أن تدرس كـــل الامكانيات القانونية والادارية التى تؤدى إلى عرقلة عملهم وحرية تحركهم ، كـــان يجب أن تتخذ إجراءات ضد كل الذين يخالفون "القوانين" فيما يتعلق بنشاط هـؤلاء الخبراء ومعاونيهم ، لو كانت الحكومة الألمانية مهتمة فعلاً بهذا الأمر ومقدرة لإنطوائه على المصلحة العليا للبلاد ، لكانت قامت بعمل أكثر فاعلية » !!

حكايات أقنعة

وحيداً فى زنزانته ، بقى كوهين ينتظر ساعة إعدامه ، لا علم له بالضجة التى أثارها أو بالمساعى التى تبذل من أجله . كل مايعرفه هو أنه لاسبيل لانقاذه ، لقد وقع فى المصيدة ولابد من اعدامه !

انه يعرف قواعد اللعبة الجاسوسية، لعبة دقيقة وقاسية، لدرجة أنها لا تترك مجالا للتفكير فى الانسانية ، واختفاء عميل فيها ماهو الا جزء من جولة طويلة تتضمن تضحيات واستبدال قطع بغيرها ، الجاسوسية هى الحرب المتواصلة بطرق أخرى ، أنه ليس أول من يموت بعيداً عن ذويه ، فهو يدفع ضريبته كما دفعها وسيدفعها كثيرون غيره !

أنه يذكر فى مخيلته بعض من سبقوه ووقعوا .. انهم عشرات من أشباه " ايلى كوهين " فى كل معسكر من المعسكرات التى يتنافسون فيها ، انهم عديدون ولكن لابد من أن يأتى وقت يجدون فيه أنفسهم وحيدين مثله !

هناك "جاكى كوتشوك " كان - مثل كوهين - قد اندمج فى أوساط السوريين فى بوينس ايرس وتعرف ببعض الاسرائيليين الذاهبين الى ريودى جانيرو

فى شهر أبريل سنة ١٩٦١ ومن بينهم " ايلى أرجمان " القادم من معسكر بروهايل والذى كان ذاهبا الى البرازيل كمدرس للحركة الصهيونية • وكان كوتشوك يقول عن نفسه انه يهودى مصرى من أصل تركى وانه يقيم ولا يملك شيئا سوى هذه الصورة الفوتوغرافية لمقابر اليهود بالقاهرة التى يقول ان والدته ترقد فيها • كانا يتناولان طعامهما على نفس المائدة وأصبحا صديقين • لم يمكث أرجمان سوى شهرين فى ريو ولكنهما كانا يتبادلان الهدايا الصغيرة وبعض الخدمات • ولم تنقطع صلتهما عندما عاد أرجمان الى اسرائيل • فاستقبله أرجمان فى معسكره وألحقه بمدرسة عبرية • كان جاكى أنيقاً نشطاً ماهراً وكان يتحدث كثيرا عن مصر ويظهر شوقه اليها ولكنه يتفوه بأقوال عنيفة جداً ضد عبد الناصر وكان يحمل دائما آلة تصوير فوتوغرافية !

ان " قانون العودة " فى اسرائيل - وهو أحد القوانين الأولى التى اعتمدها الكنيست - تقضى بأن كل يهودى يستقر فى اسرائيل يتجنس بصفة أوتوماتيكية بالجنسية الاسرائيلية • وتفرض عليه الخدمة العسكرية • وجاكى عمره ٢٣ سنة ولكنه لم يكن متحمساً للخدمة ••• وعند تجنيده ألحق فى الأقسام الهندسية كسائق سيارة فتباعدت زياراته لصديقه وأخذ يشكو من عدم ميله للمهنة العسكرية، من أجل شبابه الضائع وتأخير زواجه بسبب قلة دخله • حتى تم تسريحه •

تسلمته ادارة المهاجرين بالوكالة اليهودية وأسكنته فى كوخ مؤقت فى " أشكلون " لحين وجود مسكن آخر له فى احدى الشقق الرخيصة المخصصة للمهاجرين •

كان يريد مزاولة مهنة التصوير مع الاستمرار فى دراسته بالجامعة العبريـــــة فى مدينة القدس ، ولكن التحريات التى تقوم بها السلطات الاسرائيلية بالنسبـــــة لجميع المهاجرين كانت قد أثارت الشبهات من بعض تصرفاته منذ وجوده فـــــى البرازيل ، فقبض عليه فى ديسمبر سنة ١٩٦٣ ومثل أمام محكمة القدس بتهمة التجسس وحكم عليه بالحبس ١٨ سنـــــــة .

لقد ثبت أن اسمه الحقيقى " كيفورك يعقوبيان " وأنه من أصل أرمنى ويعمل لحساب المخابرات المصرية ، وكان مثل كوهين يهدف الى الاستقرار فى البلد الذى كلف بالتجسس عليه ، مع الفارق الكبير بينهما ، اذ كانت الأوساط التى اختلط بهـــا يعقوبيان متواضعة بعكس كوهين الذى تمكن من الصعود الى المراكز الرفيعة حتى كانوا يتندرون عنه فى دمشق ويقولون انه لولا سوء الحظ الذى كشفه لكان " كمـــال أمين ثابت " من المرشحين لتأليف الوزارة السورية الجديدة ! .. ويلاحظ أيضـــا أن يعقوبيان كان تحت المراقبة والمخابرات الاسرائيلية تصادر مراسلاتـــه ومع ذلك فان سبل العمل متشابهة فى الحالتين : مهاجر من أمريكا اللاتينية يعـــود الى بلاد أجداده ، انها طريقة " كلاسيكية " أن يحاول الجاسوس الاندماج فى البلد المرغوب فى التجسس عليه !

انهار يعقوبيان عند سماع الحكم عليه وتمتم : " هذا كثير . هذا كثيـــر " كان هذا المسكين فى سنة ١٩٥٨ ، وعمره عشرون عاما يعول والدته بدخله الضئيل من مهنة التصوير . وقبض عليه بسبب جنحه بسيطه . فجندته المخابرات المصريـــة

بترغيبه فى المكاسب الكبيرة التى يمكنه الحصول عليها • وكان تدريبه سريعا • فقد طلب الهجرة تحت ستار شخصية اليهودى اللاجىء المديم الجنسية ••• واستغل عمله فى الجيش الاسرائيلى لموافاة رؤسائه فى القاهرة بما يلاحظه ويصوره ••• وقد أيدت المحكمة العليا الحكم عليه للتجسس المتعمد ونقل معلومات سرية •••

وبعد سنتين ، نشرت الصحافة الاسرائيلية الخبر القصير التالى " الجاسوس كيفورك يعقوبيان ، ومعه فدائيان مصريان ، قد تم تسليمهم الى مصر مقابل ثلاثة اسرائيليين من سكان " هرزليا " كانوا معتقلين فى مصر منذ شهر أغسطس الماضى وقد تم التبادل بعد تدخل الأمم المتحدة المباشر".

وهناك أيضا " شمويل سامى باروخ " الذى قارب النجاح وكاد أن يصل فى اسرائيل الى مثل ما وصل اليه كوهين فى سوريا • كانت هذه أول مرة تضمن فيها المخابرات المصرية تعاون رجل ليس مجرد مغامر بل كان من رجال المال الاسرائيليين وكان يطمع فى أن يلعب دورا أساسيا فى اسرائيل مثل ايلى كوهين الذى أصبح أحد قادة حزب البعث فى سوريا • ولد سامى باروخ فى فلسطين من عائلة محترمة

وقام بانشاء مصنع للغزل فى "كيريات جات" عاصمة " لاخيش " الجديدة وهى منطقة نمو صناعى فى اسرائيل ، ولم يكن فى حاجة لاتخاذ شخصية جديدة لأن شخصيته الحقيقية كانت تتفق تماما مع الدور الذى كانت المخابرات المصرية تعتزم تكليفه به والذى كان يتضمن تحويل مصنعه الى قاعدة نشاط للعملاء المصريين فى اسرائيل .

وقبل شمويل باروخ - المهندس فى صناعة النسيج والمدير لمصنع كبير فى اسرائيل ، والمولود فى القدس ، والمتزوج وهو والد لثلاثة أطفال ، والمرتبط بعلاقات عائلية فى عالم التجارة والصناعة الدولى فى انجلترا وسويسرا - قبل شمويل باروخ أن يلعب هذا الدور الذى عهد به اليه المصريون !

تبدأ الحكاية فى سنة ١٩٥٨ فى مانشستر وسط الضباب الانجليزى . كان باروخ يقيم فيها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ويعمل مهندساً فى مصنع يملكه يهودى اسمه " سالم " وقد تزوج ابنته فيما بعد ، وكانت اسرائيل فى ذلك الوقت تعمل لتنمية صناعة النسيج لتتيح فرصاً للعمل للمهاجرين الجدد ولتكسب أسواقاً أجنبية جديدة ، تعرف الملحق الاقتصادى فى سفارة اسرائيل بلندن بالمهندس باروخ واقترح عليه أن يعود الى اسرائيل حيث ستكون أمواله ومعلوماته الفنية مفيدة جدا فى خدمة الدولة الناشئة ، وكان من السهل اغراء باروخ بالمزايا التى ستترتب على انطلاقه فى أعمال سوف تتسع مع نمو البلاد ، وبعد وصوله الى اسرائيل اتصل بكبار الموظفين فى وزارة التجارة والصناعة وعرض عليهم اقتراحات مغرية ، كان يثق بنفسه وقد سبقته فى اسرائيل شهرة بأنه من ألمع الفنيين ، فرحبوا به واستمعوا اليه .

ان مدينة كيريات جات الجديدة تصلح تماما لتضم أكبر مصنع فى البلاد • وسيتيح ذلك فرصة لا تعوض لفتح أبواب العمل لما لا يقل عن مائة عامل وبذلك تستوعب المنطقة المهاجرين الجدد اليها ••• وحصل باروخ من خبراء وزارة التجارة والصناعة على التأييد التام وعلى جميع التوصيات اللازمة •

كان الترحيب به حارا فى كيريات جات وسرعان ما وضع تحت تصرفه قطعة أرض مساحتها ١١٠٠٠ متر مربع وقرض حكومى بمبلغ ٧٠٠٠٠٠ جنيه اسرائيلى ، علما بأنه كان قد وعد بأن يستثمر من ناحيته ٦٠٠٠٠٠ جنيه فى المشروع •

تم إنشاء المصنع فى سنة ١٩٦٠ ، كان يمتد على مساحة ألفى متر، واستورد باروخ من انجلترا أنوالا للنسيج واجتهد فى أن يجتذب الاهتمام العام حول المشروع كان يدعو شخصيات بريطانية كبيرة لزيارة المصنع ومن بينها رئيس حزب العمال الايرلندى الذى قال انه على استعداد لاستثمار أموال ضخمة فى المصنع• ولكن الحماس هبط بنفس السرعة التى كان قد ارتفع بها ، عندما لوحظ أن الآلات التى استوردها باروخ من انجلترا كانت قديمة ولا تصلح الا للكسر، وان القرض الحكومى استعمل فى بناء وتأثيث المصنع بينما كان المتفق عليه هو أن يقوم باروخ بنفسه بذلك وأن يشترى بأموا له الخاصة المواد الأولية اللازمة لتشغيل المصنع مع تكوين رصيد من المال السائل لصرف الأجور ، غير أنه اتضح أن رأس المال الذى تعهد به باروخ لم يكن له وجود الا فى خيالـــه •••!

كان الرجل بلاشك مهندساً قديراً ولكن كفائته كرجل أعمال كانت ضعيفة جداً ، وبدأت المتاعب تظهر ، نضب المال الإحتياطي من أول سنة ولم تتوفر النقود اللازمة لشراء المواد الأولية ولا حتى لدفع أجور العمال ، بحث باروخ عن شركاء وجاء بعضهم الى كيريات جات وزاروا المصنع وفحصوا الموضوع من جميع جوانبه وسرعان ما تحققوا من أن المشروع - فى حالته الراهنة - غير صالح للاستثمار ، فانسحبوا . وبقى باروخ وحيداً ، لم يبق فى المصنع سوى أربعين عاملاً من التسعين الذين كانوا قد عينوا فيه ، ومع ذلك فلم يكن يستطيع دفع أجورهم ، ولما رأى نفسه مهدداً بالافلاس فكر فى إشراك العمال فى ادارة المصنع ، راجت الفكرة وخاصة أن النظام التعاونى كان نامياً فى اسرائيل ، ويوجد فى الهيستادروت مركز تعاونى لإقراض العمال الذين يرغبون فى تكوين جمعية تعاونية فيما بينهم ، وتمكن باروخ من اقناع ٢٥ عاملاً حصل كل منهم على قرض بخمسة آلاف جنيه وهكذا تجمع له مبلغ ٢٥٠٠٠٠ جنيه كرأس مال جديد لمصنع النسيج ، ولكن المتاعب تكررت بعد قليل ، فتذكر عائلته ومعارفه فى انجلترا وسويسرا ، ذهب أولا إلى جنيف حيث يقيم أحد أنسبائه وهو صاحب بنك " صفرا " ومن أصل مصرى ، وقد أشتبه فيما بعد فى أن صفرا هذا هو الذى وضع أسس العلاقات بين باروخ ورجال المخابرات المصرية ، ولكن صفرا يؤكد براءته من ذلك ، وفى الواقع كان اتصال باروخ بهم عن طريق غير مباشر ، اذ كان قد نشر فى الصحافة السويسرية اعلانا يطلب رؤوس أموال " لمشروع مربح يبشر باحتمالات توسع طيبة " . ومعلوم أن احدى مهام العملاء المتخصصين فى التعبئة لأقسام المخابرات هى فرز الاعلانات الصغيرة التى يجدون فيها أحيانا مصدرا للمعلومات المفيدة . قامت المخابرات المصرية باجراء تحقيق سرى عن هذا " المشروع المربح "

وتقدمت بعروض مغرية ، ويجب ألا ننسى أن باروخ كان على حافة الافلاس، فأعتقد أنه قد وجد طريق النجاة بفضل هذه العروض لا سيما وأنه كان ينسب متاعبه الى السلطات الاسرائيلية التى لم تقم بالوفاء بوعودها !

وهكذا تمكن باروخ ، رغم حالة أعماله المتدهورة ، من أن يعود الى اسرائيل ويستمر فى معيشته الفخمة، ويدعو أصدقاءه العديدين الى مائدته التى كانت مشهورة بتقليد " العشاء بالشامبانيا " ... انه وقع فريسة سهلة لعملاء المخابرات المصرية الذين دعوه للحضور الى القاهرة ورحبوا به وتنقلوا معه بين المطاعم الفاخرة والبارات والكابارهات ، ولما تم إعداده تماماً ، عرضوا عليه طلبهم بصراحة : هل يستطيع أن يزرع شبكة من العملاء المصريين فى اسرائيل ؟ ولم يكن هذا السؤال الا أمراً مقنعاً ، اذ كان باروخ قد تورط الى درجة لا يستطيع معها أن يرفض ويغضب ويغادر مصر... وتم الاتفاق على أن العملاء المصريين سيدخلون اسرائيل بوصفهم خبراء أو ممثلين تجاريين أو مهندسين وعلى أن يقيموا فى كبريات جات حيث يوجد المصنع ، وقد نصحوه أيضا بأن يشترك فى المجال السياسى ، وكان باروخ قد التحق من قبل بحزب جديد اسمه " اسرائيل الفتاة " وأعضاؤه من اليهود المهاجرين من البلاد الشرقية الذين كانوا يتذمرون من الأحوال الاجتماعية فى اسرائيل ومن التمييز الذى كانوا يعاملون به بصفتهم يهودا شرقيين ... وكان باروخ يؤكد لقادة الحزب أنه سيقوم بتمويل نشاطهم ، وقام خطيباً فى أحد اجتماعاتهم ليقول انه قد آن الأوان لازالة التفرقة العنصرية خاصة وأن " السفارديم " (أى اليهود الشرقيين) يشكلون الأغلبية من سكان اسرائيل وأنه هو يملك من المال ما يكفى لتنظيم هذه " الثورة العادلة " !

غير أن باروخ كان يجهل أنه قد وضع تحت مراقبة المخابرات الاسرائيلية ، اذ صادف عند سفره من مصر الى أوروبا أن رآه أحد الاسرائيليين الذين كانوا موجودين في المطار هناك عند نزوله من طائرة شركة مصر للطيران ... فبادر بابلاغ ذلك الى ادارة الأمن الاسرائيلية .

وعلى أي حال فان مركز المصنع كان لا يزال سيئاً جداً ، الأمر الذي كان المصريون يجهلونه ولذلك لم يزودوه بالمال لاعتقادهم أن عميلهم من الأثرياء ، فزادت الحال سوءاً لدرجة أن باروخ كان لا يستطيع دفع ثمن وجباته في المطعم ، وأخيراً تم إعلان تفليسه في ٩ أكتوبر ١٩٦٣ وتوقيع الحجز على مصنعه الذي كان قد توقف عن العمل منذ ثلاثة أشهر لعدم صرف أجور العمال .

ماذا كان في استطاعة باروخ أن يفعله الآن ؟ لم يعد في امكانه أن يقوم بالمهمة التي كلفته بها المخابرات المصرية ، بعد اغلاق المصنع الذي كان من المفروض أن يستقبل فيه " زائريه " ... وكانت زوجته قد هجرته مصطحبة أولادها الثلاثة ... وكان غيظه شديداً لفشله على طول الخط ، فقرر أن يغادر اسرائيل نهائيـــا . ساعده بعض أعضاء أسرته ليدفع الى المحكمة الكفالة التي سمحت له باسترداد جواز سفره الفرنسي ، وحاولوا القيام بتسوية ودية للتهم التي كانت تعرضه للمحاكمة الجنائية نصب وتزوير كمبيالات واقترافات زائفة أمام البوليس ...

واستعد باروخ للسفر بالطائرة ولكنه ألقي القبض عليه لدى وصوله الى مطار

البلد ، وعند تفتيش أمتعته عثر على بعض الوثائق الخاصة بأمن الدولة وعلى مخطوط
عن " حالة اسرائيل الاقتصادية المزعزعة والثورة التي ستقوم فيها " أكد باروخ
أن هذا المخطوط كان ينوى نشره كمقال في الجريدة التي تصدرها " اسرائيل الفتاة "
وأيده رئيس الحركة المذكورة في هذا الصدد ولكنه طرده من الحزب ... وقال باروخ
لمحاميه أنه لم يتسبب في أي ضرر لاسرائيل وأن المصريين حقا كان في نيتهم أن
يستغلوه ولكنه لم يقم " بعد " بفعل أي شيء ... ليته لم يلفظ كلمة " بعد " هذه ..
لأن القضاة لم يرحموه بل حكموا عليه بالسجن لمدة ١٨ سنة ، أي ما يقرب من أقصى
العقوبة المنصوص عليها في أحوال التجسس لصالح العدو !

استأنف باروخ الحكم أمام المحكمة العليا .. في مايو سنة ١٩٦٥ ... وكان
المحامي " هنوجمان " يترافع عنه فطلب من المحكمة استعمال الرأفة لأن المصريين
هم الذين قاموا بالمبادرة بالاتصال بباروخ الذي كان وقتئذ تحت تأثير الصدمة
التي سببها له سوء أحواله ، ولو كان في حالته الطبيعية لرفض بقوة العروض المصرية
وعلى كل حال فان باروخ قد وضع حداً قاطعاً لمهمة التجسس عندما قام بتصفية
مصنعه في كيريات جات ، ثم ان حالته الصحية رديئة وسيضطر لاجراء عملية في الكلى
ومن ناحية أخرى فانه لم يتلق أي أجر من المصريين ولا يمكن تفسير هفوته الا بأنها
كانت نتيجة لحظة ضعف وانهيار عصبي ، ان عقوبة ١٨ سنة شديدة جدا خاصة وأنه
(في قضايا جاسوسية سابقة) كانت المحكمة أكثر رأفة ! ..

قام النائب العام بتفنيد حجج الدفاع ، بأن القيام فعلا بابلاغ العدو

معلومات سرية هو أقل خطورة من القيام بوضع خطة للاتفاق مع المصريين ، ومن القبول بأن يصبح المصنع مركزاً لعمل رجال العدو ، ثم أنه لم يثبت أن باروخ قام بتصفية مصنعه لوضع حد للمهمة المكلف بها ، بل ان اغلاق المصنع جاء نتيجة للمتاعب المالية التى لم يتمكن المتهم من التغلب عليها ... وبعد المداولة رفضت المحكمة العليا بالقدس أسباب الاستئناف وأيدت الحكم بعقوبة ١٨ سنة وأبرزت فى حيثياتها أن الافعال المتهم بها باروخ أخطر من التى حوكم من أجلها غيره من المتهمين بالعمل ضد أمن الدولة ، فان باروخ كان قد قبل أن يعمل كستار تختفى وراءه شبكة جاسوسية للأعداء فى اسرائيل !

كم من القطع الأخرى تتحرك وتسقط فى لعبة الشطرنج العنيدة التى تتبارى فيها أقسام المخابرات السرية ... ففى يوم شديد الحر من أيام شهر يونية ، فى القاهرة ، كان الكابتن "عمر" يروح ويجىء فى مكتبه وهو يجفف عرقه ، انه قلق ... كان قد استمع الى الاذاعة العبرية لراديو اسرائيل ولم تعجبه ... لاشك أن الاسرائيليين مطلعون تماماً على حقيقة الحال فى البلاد العربية بصفة عامة وفى مصر خاصة !

لم يكن عمر - النقيب فى المخابرات المصرية - يعلم أن كوهين كان فى ذلك الوقت موجوداً فى دمشق ، انه يعرف جيداً أن اسرائيل حريصة على توزيع عملائها فى بلاد الشرق الأدنى وأن المخابرات المصرية تحاول عرقلة عملهم بايفاد عملائها فى اسرائيل !

ويمكننا الاستمرار طويلاً في متابعة هذه السلسلة من صور الجواسيس ، الكبار والصغار منهم ، ان الحروب السرية في الشرق تزخر بهؤلاء الأشخاص الذين يحسب الانسان أنهم من أبطال الروايات الشعبية مثل روايات " فانتوماس " .. وعملية « الأب يواقيم » كانت إحدى العمليات التى أشرف عليها الكابتن « عمر » والتى لا يعرف عنها قراء العربية أى شىء !

إن الأب " يواقيم » رئيس الطائفة القبطية فى فلسطين ، كانت رعايته تمتد على الأراضى الاسرائيلية والأردنية ، وكثيراً ما كان يعبر من ناحية الى الأخرى من بوابة " ماند لبوم " وهى نقطة الحدود السابقة عندما كانت مدينة القدس مقسمة الى قسمين ، وكانت هذه البوابة هى الطريق الوحيد الرسمى للمرور بين اسرائيل والبلاد العربية وكان عدد كبير من السواح والحجاج يعبرونه من الناحيتين ، وكان الأب " يواقيم الأنطونى " كغيره كثيرين من رؤساء الكنائس والطوائف المختلفة فى الأراضى المقدسة ، يمر من ناحيتى المدينة القديمة لإدارة أملاك كنيسته والإتصال برعاياه ، وكان من الطبيعى أن يمر هذا الأسقف " المتجول » رافعاً رأسه ، ودون أن يخضع للتفتيش المعتاد ، وفى أحد أيام شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ كان الأب يحمل تحت ذراعه ثلاثة سجلات إحصائية ضخمة مما أثار اهتمام " أبا ماليفتش "

موظف الجمرك الإسرائيلى الذى طلب من القس أن يبرز له محتويات محفظته ، وعندما بدأ موظف الجمرك فى فحصها ، خطف الأب يواقيم المحفظة من يده بحركة عصبية وتابع سيره بجلال ... إلا أن ورقة كانت قد وقعت من المحفظة ، وبعد أن جرى الموظف وراء الراهب ليرد الورقة إليه عاد دون جدوى ، فقام بتسليمها الى رؤسائه الذين أحالوها بدورهم الى المخابرات الإسرائيلية ، كانت الورقة تشتمل على كشف بمطارات وأجهزة الطيران الاسرائيلية ومصانع المهمات العسكرية ... وما كان على الجمارك الاسرائيلية الا أن تنصب فخاً للقبض على القس الجاسوس بمجرد ظهوره مرة أخرى ، وبعد ذلك بأربعين يوماً حضر نائب الأب يواقيم بمدينة يافا الى بوابة ماندلبوم لإستقبال خمسة قساوسة أقباط قادمين من الأردن ، وكان ماليفيتش موجوداً فى الخدمة وقتئذ ، ولما علم أن الأب يواقيم كان من بين الخمسة القادمين جرى لمقابلته ودعاه لتناول كوب شاى معه ، وتنازل الأب يواقيم وقبل الدعوة رغبة منه فى ضمان حسن نية الموظف ، وبعد دخوله الأراضى الاسرائيلية وفى أثناء حديثه مع نائبه اليافاوى ، ذهب ماليفيتش الى التليفون وهمس باللغة الألمانية : "إن العصفور فى القفص"! ... وبعد عشر دقائق كان الأب يواقيم مقبوضاً عليه ، وقد اعترف بأنه يعمل لحساب المصريين ، فحكم عليه بالسجن ١٢ سنة . وقد أفرج عنه بعد ثمانى سنوات وأعيد الى مصر .

لم يكن هذا إلا واحداً من أمثلة التوجه الدينى ... ففى نظره ، كان اليهود لا يزالون هم "الشعب الذى قتل ربه"! واسرائيل « وطنهم » يجب أن تقع تحت طائلة اللعنة التى لحقتهم منذ عشرين قرناً !

الجاسوس و عشيقته..!

كان الاسرائيليون يختالون دائما متباهين بقدرة أجهزة استخباراتهم ، وكانت تصريحات زعمـــاء دولة الارهاب ـ السياسيين والعسكريين ـ تؤكد فـــى " تواضع زائف " أن أحداً لا يجسر علـــى التغلغل داخل المجتمع الاسرائيلى ، داخل " الجدار الأمنى " الوهمى .. و أن المواطن الاسرائيلى لا يقبل أن يتعاون مـع أجهزة المخابرات المعادية مهما كانت الدوافع !

و فى إطار " الحرب السرية " بين القاهرة وتل أبيب .. كان هناك أبطال حقيقيون ومغامرين مرتزقة .. و الاسرائيليون يذكرون جيداً " موردخاى كيدار " الاسرائيلـــى المولود فـــى فلسطين ، و ينتسب لأسرة كـــان عميدها " حاخاماً " و تلقـــى علوم فـــى مدرسة " الهاجاناه " العسكرية والذى كـــان ناقماً علـــى مدير الموساد الاسرائيلى ـ فى ذلك الوقت " ايزر هاريل " بوصفه كان عاملاً فى مصنع خل عند قيام الدولة اليهودية ، ولعل هذا ما يفسر رائحة " الخل " فى تقاديره ! ... حتى أجبر على تقديم استقالته فى ٢٤ مارس عام ١٩٦٣ ومـع ذلك تعاون " موردخاى " مع جهاز المخابرات المصرية بكل " إخلاص " فى عهد رئيسه " زكريا محيى الدين " .

و يذكر " الموساد أيضاً " : " أولريتش شنيفت " الذى كان من أبرع الجواسيس الذين قدمـــوا خدمات "جليلة " لمصر .. و الرجل الاكثر غموضاً " الكسندر بولين " .. وبالطبع د . " إسرائيل بيير " وعشيقته " ديـــانا ذهابى " والذى كان كشفه ضربة قاصمة لأجهزة الاستخبارات الاسرائيلية وصدمـــه هائلة لما يسمـــى بـ " الشعب اليهودى " !

ولو أن أحداً من الروائيين العالميين ، حاول أن يرسم بقلمه صورة لجاسوس محترف ، لما تمكن خياله من ابتكار شخصية تتمتع بهذا القدر من التعقيد : ضابط برتبة كولونيل ، أستاذ بجامعة تل أبيب ، مستشاراً للأمـــن القومى فـــى الحكومة الاسرائيلية ، مؤرخ بوزارة الدفاع ، معلقاً عسكريـــــــاً بصحيفة " هامشمار " وصحيفة " هاآرتس " و المستشار المقرب جداً مـــن " دافيد بن جوريون " رئيس الحكومة الاسرائيلية فـــى ذلك الوقت !

كان د . " اسرائيل بيير " هو الذى يحظى بكل هذة الوظائف .. وكل هذا النفوذ والشهرة ! .. و قـــد أثار اعتقاله فى ليلة عيد الفصح عام ١٩٦١ عاصفة فى أروقة " الموساد " الاسرائيلى ! .. وعندما نظرت قضيته أمـــام

المحكمة ، قـــال ممثل الادعاء : " إن اسرائيل كـــــــان مطلعاً على أسرار الدولة وأنه أفشى هذه الاسرار لأعداء اسرائيل" !

لم يكن بيير مطلعاً على أسرار " الدولة " فحسب ، بل كان أيضاً وثيق الصلة بمؤسسات واكاديميات عسكرية وأجهزة مخابرات فى القارة الأوروبية ، كان صديقاً لعدد كبير من الجنرالات والقادة السياسيين ، وكـــان يدعى لإلقاء محاضرات فى الاكاديميات العسكرية ورئاسات أركان الحرب فى جيوش أوروبا ، وتجول فـــى قواعد حلف الأطلنطى وشهد عدداً من المناورات السرية !

فى واقع الأمر ، كان بيير نموذجاً فريداً للقدرة على التزييف والادعاء .. فهو لم يحصل أبداً علـــى درجة الدكتوراة ، ومع ذلك تقدم الى جامعة تل أبيب مقترحاً أن تنشىء له " كرسياً " لمادة التاريخ ، وظـــل يلقى المحاضرات وينشر الابحاث وتأليف الكتب ومنها : " أمن اسرائيـــل ـ أمس واليوم وغداً " و " مشاكل الأمن " و " الشرق الأوسط بين الشرق والغرب " ..

ولد بيير فى " فينيا " وكان والده من رجال الصناعه الأثرياء ، درس فن الاخراج علـــى " ماكس وينهارت " المخرج الألمانى الشهير ، و زعم أنه التحق بأكاديمية الفنون وحصل علـى دكتوراة فى الفلسفة ثم هجر الاخراج والفلسفة عقب صعود " هتلر " وفر الـــى اسبانيا وانضم الى الفرقة الحادية عشرة فى قتالها ضد القوات الألمانية .. ثم زعم أنه قرأ كتاباً عن الحركة الصهيونية ، الذى اكد قناعته فى ضرورة العمل علـــى إقامة وطن قومى لليهود ، وفى " أرض الميعاد " كانت كـــل الظروف مهيأة لاستقبالة .. فى الوقت الذى كانت فيه عصابات " الهاجاناه " تتولى مهمة تدمير القرى الفلسطينية واعداد المذابح للسكان العرب .. ولأن بيير كان " ضابطاً " فـــى اسبانيا ـ كما زعم ـ وفى حقيبته شهادة للدكتوراة ، فقد شق طريقة بسرعة وسط عصابات مـــن الجهلة المتعصبين حتى أصبح مديراً لعمليات الهاجاناه فى " الجليل " ثم أصبح مديراً للتخطيط ثـــم رئيساً لأركان حرب الجنرال " ايجال يادين " قائد الجيش فى حرب ١٩٤٨ وعندما أصبح رئيساً لقسم التاريخ بجامعة تل أبيب ، أقيم حفل تكريم حضره " بن جوريون " وألقى فيه كلمة هنأ فيها المؤرخ و المقاتل العظيم !

و كما تنوعت حياته العامه ، تنوعت كذلك حياته الخاصه .. فقد كـــان شغوفاً بالنساء ، فغرق فـــى العلاقات الخاصه ، وكثيراً ما شوهد فى الملاهى الليلية بصحبة الفتيات الصغيرات !

وكان بيته بشـــارع " برانديس " رقم ٦٧ بتل أبيب أشبه بالملهى الليلى حيث السهرات الصاخبة !

لم يكن بيير جاسوساً بطبيعته ، ولكنه تمكن من تحقيق ذاته فى اسرائيل وكان منطقياً فى مجتمع قام اساساً علـــى أكذوبة " أرض الميعاد " أن يتبنـــى رجلاً مسلحاً بالاكاذيب ، ففتحت أمامـــه الأبواب وتعددت مناصبه المرموقة وذاعت شهرته ، وكان مقرراً أن يظل بيير فى اتجاهه الصاعد ، لولا أحداث حرب ١٩٥٦ والتـــى تمخضت عن سطوع نجم جديد هو " موشى ديان " الذى كان يضمر العداء لبيير نظراً لمكانته فـــى قيادة أركان الجيش وثقافته العسكرية والتاريخيه الواسعه .. وتصاعد حقد كل منهما علـــى الآخر ، حتى سلطت الأضواء على ديان الذى وجد نفسه فى موقف يسمح له بالاعلان عن أحقاده القديمة تجاه خصمه القديم " بيير " !

فـــــى خريف عام ١٩٥٥ ، دعا بن جوريون رئيس الحكومة الاسرائيلية الى اجتماع عاجل لمجلس الوزراء بحضور " عيزر هاريل " رئيس جهاز الموساد " ، وكان ضمن الذين شملتهم الدعوة المحلل السياســـى والضابط السابق اسرائيل بيير وكان هذا أمرا غريبا لستنكرة بشدة موشية ديان عندما مال علـــى " عيزر هاريل " قائلاً له : ما الذى اتى بهذا الرجل الى هنا ؟! .. نظر الجميع لبعضهم بعضاً يستطلعون الحدث قبل وقوعه وقطـــع نظرات الدهشه أحد الوزراء عندما هم بالكلام وقبل ان يكمل كلمته الاولى اكمل بن جوريون قائلاً : انه ليس تعارفا بالمعنى الذى فهمتموه ولكنى اود ان اقول لكم اننى أصدرت صباح اليوم قبيل هذا الاجتماع مباشـــرة قراراً بتعيين السيد " اسرائيل بيير " مستشاراً للامن القومى الاسرائيلى ومساعداً فى الشئون الامنية !

وصرخ ديان : تقول من يا سيدى الرئيس ؟

قال بن جوريون فى حزم : صديقى ومستشارى إسرائيل بيير .

لم يخجل ديان من الوقوف منتصبا وكأنه يهم بالخروج من المجلس قائلاً لبن جوريون : سيدى هـــذا الرجل الذى تريد ان تسلمه خزائن امن اسرائيل ، مجهول الهوية تماما كيف يحدث هذا .. انا غير موافق على تعيينه فى هـــذا المنصب . إبتسم بن جوريون ورد على ديان وهو ينظر باتجاه الرجل الاصلع بيير قائلاً : هذه مشكلتك ديان اذا لـــم تكن تعرفه ، أما أنا فأعرفه جيداً وأثق فيه تماماً ، لقد خدم هذا الرجل إسرائيل بجديه ونشاط منذ ان هاجر اليها من النمسا عام ١٩٣٥ ، ورأيته فى جيش الهاجاناه السرى ورأيته وهو يخدم فى جيش الدفاع الاسرائيلى بنشاط فائق كما انه متميز سياسيا ولديه قدرات تفتقر انت شخصيا اليها .. ارجوك اصمت ولست هنا بصد أخذ رأيك .. ثـــم اردف : انا اعلم تماما ان الغيرة لها مكان فى صراخك هذا ..!

بعـد انتهاء الاجتماع العاصف الذى شهد اعلان تعيين " بيير " مستشاراً للامن القومى الاسرائيلى ، خرج ديان من مكتب رئيس الوزراء ليسير بمحاذاه عيزر وكل منهما ينظر نحو الاخر نظرات صامته ذات مغزى.. وفى المساء طلب عيزر من ديان ان يزوره فى مكتبه أو ان ينتظره ليحضر هو اليه ، ودون ان يسأله ديان عـــن سبب القاء ادرك ان عيزر يريد ان يتحدث معه بشأن المستشار الجديد للأمن القومى لإسرائيل .

فى الثامنه مساء كان عيزر يستقبل ديان بمكتبه بمبنى الموساد فى تل أبيب و الذى فاجأه بسؤال حـــاسم وحـازم :

عيزر اريد ان اعرف كل شىء عن هذا الرجل ..

نظر اليه عيزر نظرة استخفاف وقال له : اليوم وبعد كل هذه السنوات تأتى لتسألنى من هو هذا الرجل ؟!

قال ديان : فى الماضى لم يكن مهما ان يلتحق بالجيش ولكن اليوم سيضطلع بمهام تمس أمن اسرائيل فـــى الصميم!

خرج بيير من قاعة الاجتماعات منتشيا بالنتائج التى حصل عليها خلال هذا الاجتماع فقـــد كان هذا المنصب هو أكبر مما كان يطمح اليه فى هذا الوقت وفى مثل هذه الظروف خاصة بعد ان عمد موشيه ديان الـــى الاساءه لسمعته فضلا عن ملاحقة عيزر له ومتابعته متابعه حثيثة اثناء لقائه بإحدى عشيقاته .

وخلال الطريق الذى قطعه من غرفة الاجتماعات وحتى الباب الخارجى كان يتلقى التهانى مـــن كل العاملين بمجلس الوزراء وقبيل ان يخرج من بوابة المجلس ليستقل سيارته فوجىء بأحد الحراس يعدو خلفه طالبــا موافاة بن جوريون فى مكتبه .

عاد بيير منزعجا لهذا الاستدعاء السريع بعد هذا الاجتماع الصاخب ودخـــل مكتب رئيس الوزراء .. سيدى ماذا هناك لقد كنت خرجت بالفعل من المقر ، رد بن جوريون عزيزى بيير .. ارجو أن تسمعنى جيداً.. اليوم بالطبع ادركت كم يكرهك ديان وكم يكرهك عيزر أيضاً وهما أخطر شخصيتين فى المجلس ، فكن حذراً ولا تفسح لهما المجال لان يضبطا عليك موقفا يحسب عليك لانك انت إسرائيل بيير محسوب على ، فـــى المساء كـان لابد لاسرائيل بيير ان يحتفل بهذه المناسه فاتصل بإحدى عشيقاته وكان اسمها حنه وطلبها ان تلتقيه فى حانة أتوم فـــى شارع بن يهودا الصاخب فى تل أبيب وقال لها لا تتخلفى فلدى هدية رائعة لك ومفاجأة ستسعدك بلا شك .

فى التاسعه مساء كان اسرائيل بيير يقدم هديته لعشيقته ـ وهى زوجه لاحد ضباط وزارة الدفـــاع الاسرائيليه وكان زوجها شديد الغيرة عليها ودائم الشك فيها لشدة جمالها ، وبعد نصف ساعه بالضبط مــن وصولها لحانة أتوم ولقائها ببيير فوجىء الاثنان بشالوم زوجها يقف على رأسيهما وقبل أن ينطق احدهما بكلمه إنهال الضابط

بالكلمات والصفعات الشديدة على وجه إسرائيل بيير حتى وقعت سنتان من اسنان بيير واخذ ينزف وقام بعض العاملين بالحانه بنقله لمستشفى تل أبيب .

بعد ايام عندما سأله بن جوريون عن اسنانه المفقود قال له : لقد فقدتهما يا سيدى في حادث سيارة .. بينما ضحك كل من ديان وعيزر عندما وصلهما الخبر ، وإتصل ديان بعيزر قائلاً له : لا أعتقد انك بعيد عما حدث لهذا المارق !

كان بيير يصف " موشى ديان " بأنه جاهل أفاق كل مؤهلاته رصاصة طائشة اقتلعت احدى عينية !.. وكان ديان فى كل اجتماع يسفه أراء بيير أمام كبار الضباط " إن بيير قرأ كثيراً فى الشئون العسكرية لكنه غير قادر على كسب معركة على الارض " ! .. ووصلت الأزمة ذروتها عندما طلب منه ديان فى أحدى المرات : مغادرة الاجتماع !

كان بيير شغوفاً بالرحلات ، وكانت السفارة الاسرائيلية في " بون " تتولى دفع كافة نفقاته في أوروبا ، بتعليمات من بن جوريون ورؤساء المخابرات الاسرائيلية ، باعتبار أنه يمثل وزارة الدفاع فى مهام سرية! .. واستغل بيير هذا المنهل ، فكان يقيم فى أرقى الفنادق ليشبع نهمه الى الطعام الفاخر و الخمور الجيدة والحسناوات الأوروبيات .. حتى أمر ديان بوقف هذا " الاسراف " المبالغ فيه !

أغرق بيير نفسه في الخمر ، إزاء هذه المحنة ، وازداد نحوله ، وأصيب باضطراب عصبي .. وتخلت عنه عشيقاته إلا " ديانا ذهابى " التى كانت تكن له أرق العواطف الانسانية .. وبكت من اجله .. وقررت أن تهب لنجدته .. ولسنا ندرى هل كان القرار الذى اتخذته لمساعدة عشيقها : من وحى أفكارها أم كان بايحاء من بيير نفسه ؟

كان ذلك فى يناير عام ١٩٥٧ ، عندما شاهدت سكرتيرة السفارة المصرية فى " باريس " سيدة رائعة الجمال ترتدى معطفاً واقياً من المطر ، وسيجارة بين أصابعها ، تريد مقابلة مسئول ..

و يبدو أن روح المغامرة التى ميزت بيير منذ شبابه ، قد انتقلت اليها ، وسرعان ما وجدت رجلا فارع الطول ، تنطق ملامحه بالصرامه ، يقتادها الى غرفة جانبية فى الطابق الاول .. ولم تكد تتأمل الأثاث البسيط للغرفة حتى دخل شاب قوى البنيان يرتدى بلوفر رمادى فوق قميص أبيض مفتوح .. والذى تملكه الذهول عندما تعرف على شخصية " الضيفة " المرتبكه .. كانت عشيقة المستشار الخاص لبن جوريون .. جاءت تقدم عرضاً سخياً

غير مقترن بأية شروط : أن تتعاون باخلاص مع المصريين .. كانت تتحدث الفرنسية ولكى تؤكد مقاصدها وحسن نواياها أعادت كلمة " إخلاص " بالانجليزية !

و صارحها الشاب بأن الموضوع أخطر من أن يناقش بالمراسلات ووعدها بأن يتوجه للقاهرة فى نفس اليوم بالطائرة ، ليرتب العملية مع رؤسائه ، و اتفق معها على اللقاء يوم الأحد التالى فى محل لبيع الزهور .

وفى القاهرة ، طرحت العملية على مائدة البحث ، بمبنى المخابرات العامة ، وكانوا ثلاثة : رئيس المخابرات العامه ونائبية .. ثم توجه رئيس المخابرات العامه الى جمال عبدالناصر فى " مقابله غير عادية " !

وكان رأى قادة الجهاز أن الحاجه للمال هى الدافع لتصرف ديانا بالاضافه الى " المناخ النفسى " الذى وجدت فيه عشيقها بعد " الاجراءات الانتقامية " للجنرال ديان !

و اعتبرت العملية " نظيفة " تماماً ، أى ليست عملية مدسوسة .. واتخذ قرار بالاغداق على المرأة لكى تتمكن من تقديم العون لعشيقها " الرجل الخطير " ! .. وكان رجال المخابرات المصرية على استعداد لأية تضحيات مادية من أجل الوصول الى شخص فى مكانة بيير .. ومن أجل هذة الجاسوسة " النادرة " استخدمت المخابرات المصرية اجراءات معقده : اختين غير شقيقتين ، الكبرى فرنسية الأم ، والصغرى مصرية خالصه ، كانت الكبرى تعمل فى مكتبة ، وقد اختصت بدور " صندوق البريد " وكان الاتفاق أن تتخير ديانا الأوقات التى تخلو فيها المكتبة من الرواد وتنتقى كتابا ثم تسلم ما لديها من معلومات خلال دفع ثمن الكتاب ، وكان طبيعياً أن تزور الصغرى أختها الكبرى عندما تسافر الى أوروبا ، ولكى تتعدد زياراتها ، أوجدت لها وظيفة مضيفه بشركة مصر للطيران ، وهكذا انتظمت المعلومات من وزارة الدفاع الاسرائيلية ومكتب بن جوريون واتخذت الأموال نفس الاتجاه المعاكس !

كانت المعلومات التى ترسلها ديانا أثمن من أن تقدر بالمال ، وكان ديان يترقب انهيار خصمه اللدود عقب منع الاموال السرية عنه .. ولذلك لجأ المصريون الى حيلة ذكية عندما طلبوا من ديانا أن يقوم بيير بإعادة طبع كتبه ، على أن تشترى المخابرات المصرية جميع النسخ .. وكان هذا سر رواج مؤلفات بيير !

أمدت ديانا المخابرات المصرية بأكثر من أربعمائة وثيقة ، تضمنت تنظيم وزارة الدفاع الاسرائيلية ، وخطط تسليح الجيش الاسرائيلى ، وبيانات عن اعداد الألوية المدرعة والوحدات الملحقة ومخزون الذخائر وخطط تنظيم التعاون بين القوات الجوية والبرية وقوائم بأسماء كبار القادة والضباط وعناوين اقامتهم !.. كما كان

المصريون يطلعون أولا بأول على محاضر إجتماعات القيادة العليا ، ولما كان بيير مستشاراً للأمن القومى ، فقد كانت نظم الأمن على الحدود معروفة للقيادة المصرية ، وأسهمت هذة المعلومات في توسيع عمليات الكوماندوز المصريين داخل إسرائيل .. وأوحت اليها المخابرات المصرية أن يكتب بيير فى موضوعات معينه : فتبنى فكرة قيام دولة علمانية تضم اليهود والفلسطينيين ، وأشار الى الحالة المزرية التي يعيش فيها اللاجئون ، و عارض سياسة القمع والارهاب التى تمارسها الدولة وسيطرة المؤسسة العسكرية !

أفرط بيير فى الشراب والملذات ، وازدادت النوبات العصبية كما أثر مرض " باركنسون " على اتزانه وتحملت ديانا عبئاً كبيراً ، وكاد صبرها أن ينفد عندما حاول بيير إستعادة علاقته بإحدى عشيقاته القدامى " أورا " ودعاها الى الإقامه معه .. ولكن المصريين نصحوها بالصبر .. وقبيل النهاية بنحو ثلاثة شهور ، اتخذ بيير قراراً غريباً بنقل وثائق وزارة الدفاع الى غرفة مكتبه بالبيت ، وكانت ديانا تحصل على صورة من هذة الوثائق " الثمينة " !

و تتابعت الاحداث بصورة دراماتيكية .. حتى قبض على بيير وأسفر تفتيش مكتبه عن : ثلاثين كيلو جراماً من الوثائق البالغة السرية ! .. ومبلغ كبير من الدولارات .. ولم يكن بيت بيير بالمكان المناسب للاحتفاظ بهذة الاسرار ، ومن المدهش أن ديانا كانت من الجرأة أن تحتفظ ـ بعد اعتقال بيير بعشرة ايام ـ بعدد ضخم من الافلام وصور الوثائق ، حتى تمكنت من توصيلها كالمعتاد !.. وكان ضمن الوثائق : المفكرة الشخصية لديفيد بن جورويون وكان بيير قد حصل عليها بحجة إعداد كتاب عن سيرة " بن جوريون " وانه في حاجه لمعرفة بعض الأمور الخاصه !.. وكم كانت مفاجأة لضباط المخابرات المصرية عندما وجدوا بين أيديهم المفكرة الخاصه برئيس وزراء إسرائيل وما تتضمنه من أسرار ومعلومات بالغة الخطورة !

وأمام المحكمة ، انكر بيير جميع الاتهامات وعاد الى اختلاق الاكاذيب واعترف بأنه لم يذهب فى حياته الى اسبانيا وأنه لم يلتحق بأية أكاديمية ، وزعم أن الاموال التي ضبطت بحوزته كانت وديعة من صديق ألمانى ثرى ، وبين شهود المحكمة ، كانت ديانا تتشح بملابس سوداء ، تذرف الدموع على عشيقها الذىأخلصت له حتى النهاية ، وصدر الحكم بسجنه خمس عشرة سنه ، وكانت ديانا تزوره فى محبسه كل يوم .. وفى الثانى من مايو ١٩٦٢ صدر بيان رسمي بوفاة اسرائيل بيير .. ويسدل الستار على حياة رجل .. ولم يكن جاسوساً فحسب ، بل أفاقاً خدع دولة بأكملها !!

جاسوس الشمبانيا

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تزايد الوجود الالمانى النازى فى مصر ، ممثلا فـــى عدد من العلماء وضباط الجستابو ورجـــال الفيلق الافريقي ممن عملوا تحت قيادة روميـــل ، حيث منحوا اللجوء السياسى ـ خاصة فى عهد عبد الناصر ـ وإنتحل معظمهم اسماء عربية ، بـــل إن بعضهم إعتنق الاسلام إمعاناً فى إخفاء هويتهم ، فكان منهم العلماء الذين عملوا فى مجال تطوير صناعة الاسلحة فى مصر ، بينما تولى بعض ضباط الجستابو السابقين مسئولية إعادة تنظيم جهاز أمن الدولة .

وعندمـــا إكتشفت إسرائيل فـــى بداية الستينات ، ان مصر قد تبنت مشروعاً طموحاً لصناعة وإنتاج صواريخ بعيدة المدى ، قادرة علـــى ضرب اهداف خارج حدودها ، قررت ان تحطمة دون اللجوء إلـــى حرب، فاقتصرت على التخريب من قلب المواقع المصرية التى انيط بها تصميم وتصنيع هـــذة الصواريخ ـ تحت إشراف وزارة الدفاع المصرية والاستخبارات العسكرية للقوات الجوية بالاستعانة بمجموعة مـــن هؤلاء العلماء والخبراء الالمان النازيين الذين عملوا فى بلادهم فى المجال نفسة .

ووضعت الاستخبارات الاسرائيلية خطـــة لتصفيتهم جسدياً قبل الشروع فـــى الانتاج ، بواسطة الطرود الملغومة المرسلة من الخارج ومن داخل مصر ايضاً ، كمـــا تعقبت واغتالت اخرين فـــى أوربا !

و بدأت الإستخبارات الاسرائيلية بتنفيذ خطتها مـــع بداية عـــام ١٩٦٣ ، حيث استعانت بعميـــل استخبارت ألمانى سابق هو : " أوتواسمكورزينى " الذى تعاون مع جهاز " الموساد " عـــن طريق ضابط الاتصالات فـــى باريس أنذاك : اسحق يزرنتسكى " اسحق شامير " رئيس الحكومة الاسرائيلية الأسبـــق ، الذى نجح فى تجنيد " فولفجانج لوتز " لإتمام هذة المهمه .

إشتهر " فولفجانج لوتز " بلقب " جاسوس الشمبانيا " لولعـــه المذهل بالشمبانيا وغيرها مـــن أوجه الترف .. ولد فى ألمانيا عام ١٩٢١ لأم يهودية وأب غير يهودى ، ورغم أنه لم يختن (ممـــا ساعد ـ وفقاً لما ذكره ـ على التدليل على صدق روايته التى كان يتستر خلفها) ، كمـــا عمل فيما بعد على إنقاذ حياته عندما اكتشف أمره ، إلا أنه كان يعتبر وفقاً للشريعة اليهودية يهودياً حيث يكتسب الطفل ـ طبقـــاً لهذة

الشريعة ـ ديانة أمه .

في عام ١٩٣٣ هاجر لوتز إلى فلسطين مع أمه . و عند إندلاع الحرب العالمية الثانية التحق بالجيش البريطاني و أرسل الى مصر حيث اشترك بعد ذلك في تهريب الأسلحة للهاجاناه .

تميز لوتز بطول قامته الجرماني وشعره الأشقر ، مما أسهم في إدعائه بأنه من النازيين الذين يمقتون اليهود . وقبيل وصوله القاهرة ، صدرت اليه التعليمات لإستخدام إسمه الشخصي ، كمـــا استبقى شهادة ميلاده ووثائق هويته مع إزالة أصل أمه اليهودي منها ، ثم قضى فترة التدريب الشاق التي لابد منهـــا لأي ملتحق بالموساد حتى لو كان يتمتع بخبرة سابقة في عمليات التجسس ، ثم وصل إلى القاهرة مزوداً رسائل توصية أمكن الحصول عليها ، إذ أن رؤساء أجهزة الاستخبارات الغربية الذين تظاهروا بالحياد التام تجـاه اسرائيل ، كانوا ينظرون اليها كحليف سري ينبغي مساعدته كلما أمكن ، وشكل غير رسمي وفـــي أواخر الخمسينات تدفقت هذة المساعدات من قبل كل من وكالة الاستخبارات الأمريكية " CIA " و هيئـــــة الاستخبارات الألمانية الغربية ، التي قدم رئيسها الجنرال " جيهلين " كافة الضمانات والتسهيلات .

إتخذ لوترون هيئة رجل ثري مهتم بالخيول ، واستغـل المبلغ الضخم مـــن المال الذي زوده بـــه الاسرائيليون فـــي إنشاء مدرسة للفروسية ومزرعة للخيل في ضاحية الزمالك وقد أمر بـــأن " يستلقي " (Lie low) أو بتعبير أخر أن يبق " نائماً " (To act as sleeper) لمدة عام قبل البدء فـــي أنشطته التجسسية .

أقام لوتز صداقات مع بعض العلماء الألمان العاملين بمؤسسات أبحاث الصواريخ والطيران ، كذلـك مع العديد من كبار الضباط في الجيش المصري كان على رأسهم اللواء يوسف على غراب رئيـس الشرطة العسكرية ! وبعض الشخصيات وثيقة الصلة بالرئيس عبد الناصر وبعد توطيد وصلاته فـي مصر ، سافر " لوتز " الى أوربا لمقابلة رئيسة الاسرائيلي .

زعم لوتز أنه في ٣ يونيو ١٩٦١ قابل شقراء فاتنة في قطار ، فوقع في حبها وتزوجها سريعاً وأقنـع الاسرائيلين ـ رغم شكوكهم ـ بالسماح لها باصطحابه عند عودته إلى مصر ومع ذلك فهناك روايـة أخرى تؤكد أن خبراء الموساد الاسرائيلي ـ عند تحديدهم لأفضل طرق التعمية ـ كانوا يعتقدون إعتقاداً جازماً

أنـــــه سوف يساعد لوتز ويضيف الـــى مصداقية هويته المزعومة أن يتخذ الزوجه الأوربية النموذجية إن استطاع ، لكن كانت هناك عقبة تتمثل فى وجود زوجة له بالفعل ، كانت ـ لسوء الحظ ـ نموذجاً شمـــــال أوربى لكنها فتاة إسرائيلية نمطية أنجب منها طفلين ، ومـــع هذا فإن ترتيبات حذرة قد نفذت ، وحينما أشير إلى أن إجراءات معينة يجب أن تتخذ من أجل " شرف و أمن " إسرائيل ، فإن الزوجة الوطنيـة ذات الولاء قد وافقت أخيراً على الزيجة المقترحة ! ومن ثم وافق زوجها على أن " يتزوج " مـــــن الألمانية الشقراء التى كان إسمها " فالتراود نويمان " .

فـــى القاهرة قابل " لوتز " رجلاً يدعى " هينرويش بولتر " وزجتة " كارولين " كان دكتور بولتر أثرياً ألمانياً ورئيسا لبعثة مــــن جامعة " ييل " مما جعله يقضى شهوراً طويلة فى صعيد مصر للبحث والتنقيب ، بينما كانت زوجته وطفلة الصغير يبقيان فى القاهرة فـــى فيلا تقع قرب مسكن " لوتز " وكانت الزوجة " كارولين " تزعم أنها نصف هولندية ونصف مجرية وتنفى وجود أى علاقة لها بألمانيا رغم أنها كانت تتحدث الألمانية بطلاقة !

وقـــد إرتاب فيها " لوتز " لأنها كانت تحاول دائماً الحصول علـــى معلومات عن الصواريخ لأنها كانت ، إذا سكرت قليلاً ، تشرع فـــى التحدث بلغة " اليديش " وقد حاولت أيضاً أن تقيم صداقة مـــع " ماركيس كنوبفر " زوجـــة أحد خبراء الصواريخ الألمان القياديين والتحقت السيدة " بولتـــر " بنادى هليوبولس الرياضى ، الذى كان يبعد حوالى ساعة بالسيارة عن منزلها ، ذلك لأن السيدة " كنوبفر " كانـت عضواً به ، لكنها السيدة " بولتر " لم تذهب مطلقاً إلى أى من النوادى القريبة من منزلها .

كان مكتب " كارل كنوبفر " يجاور منزلـــه مباشرة ، ومن حجرة نومه كـــان يمكن للمرء أن يرى إحدى حجرات مكتبه حيث كان يحتفظ برسومات تفصيلية لتصميمات الصواريخ !

و قد أبقى " كنوبفر " دائما شيش حجرة نومه مغلقاً والباب مغلقاً بالمفتاح لكنه كان يترك المفتاح فـى الكالون ! .. و ذات ليلة أسر كنوبفر الى لوتز أنه يعتقد أن " كارولين بولتر " جاسوسة إسرائيلية لأنها ، فى ذلك اليوم ، كانت قد قابلت زوجته فى النادى ، سألتها أن توصلها بالسيارة ، وقـد تعلقت بالسيدة " كنوبفر " بطريقة لم تجد الأخيرة معها بداً من أن تدعوها للشراب ، وبينما كانت السيدة " كنوبفر " فى المطبخ تعطى

بعض التعليمات للطاهـــى الخاص ، إختفت " كارولين بولتر " مـــن غرفة الإستقبـــال تحيرت السيدة " كنوبفر " وذهبت للبحث عنها فوجدتها فى غرفة النوم ، الباب مفتوح والشيش مفتوح ، والأكثر مـــن ذلك أنها كانت تلتقط صوراً فوتوغرافية من نافذة غرفة النوم . وقد إعتذرت متلعثمة بأنها كانت تبحث عن كرة طفلها وقال " كنوبفر " أنه سوف يبلغ الأمر للسلطات المصرية .

إنتهى " لوتز " إلى أن المرأة تعمل فى الغالب لصالح الإستخبارات الإسرائيلية ، وإلـــى أنه يجب أن يحول دون القبض عليها ، وهكذا أخبر " كنوبفر " متعللاً بأنه مادام لم يأخذ الفيلم من الكاميرا الخاصه لها فهو لا يملك دليلاً ومن ثم فإنه سيطلب ممن لهم صلات به فى جهاز الأمن المصرى وضعها تحت المراقبة إلى أن يتم التوصل إلـــى " حبل يكفى لشنقها " ! وافق " كنوبفر " ، وفـــى الصباح التالى بعث " لوتز " برساله لرؤساءه فى إسرائيل عبر جهاز إرسال لاسلكى كان يخبئة داخل " تواليت " حمام شقته ! قائلاً إنه من الواضح أن المرأه تعمل لصالح مؤسسة ما مقترحاً أنها إذا كانت تعمل لصالح الإستخبارات الإسرائيلية فيجب سحبها سريعاً !

فى ظهر اليوم التالى تلقت السيدة برقية من عمتها فى ألمانيا تقول أنها تعانى آلاماً قاسية نتيجة مرض خبيث ألم بها ، وترجوها أن تعود سريعاً لتراها قبل أن تفارق الحياة .

غادرت مصر بالفعل مع طفلها فى تلك الليلة ! وفى صباح اليوم التالى تلقى " لوتز " رسالة شكر من إسرائيل !

أخيراً تم ضبط " لوتز " وهو يقوم بإرسال معلوماته بعد أربعين يوماً فقط مـــن اكتشاف الجاسوس المحترف " ايلى كوهين " فى سوريا !

و قبض أيضاً على زوجة لوتز وبعض وثيقى الصلة بهم ، واستمرت المحكمة من ٢٧ يوليو حتـــى ٢١ أغسطس ١٩٦٥ نجح " لوتز " فـــى الإفلات من عقوبة الإعدام بالإصرار علـــى أنه ألمانى وليس إسرائيلياً . وقد حكم عليه بالسجن المؤبد وعلى زوجته بثلاث سنوات (عندما اطلق سراحهما ، عام ١٩٦٨ ، ذهبا إلى اسرائيل) . خلال المحاكمة تبين أنه كانت فى حوزته كمية من المتفجرات ، وقـــد أدين أيضاً بـ " التسبب فى الإضرار البدنى البالغ برعايا أجانب يخدمون حكومة الجمهورية العربية المتحدة " والشروع

فى قتل رعايا أجانب يخدمون حكومة الجمهورية العربية المتحدة ومواطنين من الجمهورية العربية المتحدة بواسطة متفجرات خطرة " .

و خلال المحاكمة شرح " لوتز " أن ضابطاً قد " دس لى المتفجرات التى وجدت فى حوزتى ..." و شهد مدير مكتب بريد " بأنه قد فقد عينا حينما إنفجرت فى يده رسالة موجهه إلـــى أحد العلماء الألمان " ، ورغم أن الاستخبارات المصرية قد إستغرقت بعض الوقت لتتبع جهاز الإرسال للوصول الى " لوتز " فإن رسائلة كلها قد سجلت ، وبعض هذه الرسائل قرىء جهراً فى المحكمة : إحداها كانت الرسالة التى تنصح الاسرائيليين باستدعاء " كارولين بولتر " وأخرى يقول : لم تنفجر الرسالة التى بعثت إلى كرمير وإنفجرت رسالة أخرى فى مكتب بريد المعادى ، وكان لهذا أثر قوى على العلماء الألمان " .

و فى رسالة أخرى : " إنـــى واثق بأننا نستطيع أن نرغم المزيد من العلماء الألمان علـــى الرحيل بإرسال المزيد من رسائل ..." فى البداية أصر " لوتز " علـــى أن الرسائل الحاوية للمتفجرات كانت مجرد خطابات تهديد ، لكنه فى النهاية عندما تذكر أن رسالته التى يطلب فيها المزيد من المتفجرات قد ضبطت ، إعترف بأن بعض الرسائل ربمـــا كانت تحوى متفجرات . وفـــى المحاكمة ذكر ممثل الإدعاء أيضا أن " لوتز " قد حل محل " جون ليون توماس " الجاسوس الاسرائيلى الذى اعدم : وقد ضبط فى الخامس مـن يونيو عام ١٩٦١ ووصـــل " لوتز " مصر بعد ذلك بيومين وأثناء وجوده بالسجن التقـى " لوتز " بثلاثة جواسيس إسرائيليين أخرين كان محكوماً عليهم بالحبس ، وصار صديقاً مقرباً لهم ، وهـم روبرت داسا و " فيكتور ليفى " و " فيليب ناتانسون " كما إلتقت زوجته بـ " مارسيل نينيو " فـــى سجن النساء وهؤلاء الأربعة كانوا شبكة التجسس التـــى تولت حملة التخريب والإرهاب ضد وطنهم الأصلـــى مصر والتـــى إشتهرت باسم " فضيحة لافون " عام ١٩٥٤ .

و صدر الحكم بسجن لوتز مدى الحياة ، وثار جدل كبير فى إسرائيل حول مدى الاستفادة من مثل هذة العمليات الخاسرة وتكرار فشل مؤسسة " الموساد " فى قضية لافون غير أنه افرج عن لوتز مـــع روبرت داسا وليفى ناتانسون ومارسيل فى عام ١٩٦٨ ، عقب اتفاق بمبادلتهم بـ٥ آلاف أسير مصرى ، وقعوا فـــى الأسر خلال حرب يونيو ١٩٦٧ .

نهاية عميل سرى..!

فـــى ١٨ مايو ١٩٦٥ غادر كوهين زنزانته لآخر مرة ـ فقد إنقضى سبعة عشر يوماً على الحكم الذى صدر بإعدامه ، ومضى مائة يوم منذ القبض عليه .

فـــى ميدان " المرجه " النشاط كبير رغم الساعة المتقدمة بعد منتصف الليل وجمهـور غفير يملأ الميدان فى حراسة جنود الشرطة بخوذاتهم ، جمهور مثل الذى كان يرتاد حفلات " السيرك " فـى عهد الرومان !..

وبعد ساعتين وصل الى الميدان حوالى خمسين من الصحفيين والمصورين ،
الأنوار الكاشفة تسطع فى الميدان وتجعل "فندق الأموين" يبدو كواجهة مسرح ،
والهواء عليل ومحمل بالعطور !..

وفى الساعة الثانية صباحاً ظهرت سيارة عسكرية قادمة من سجن "المزة"
على بعد ١٢ كيلومترا جنوب دمشق ، واتجهت نحو مركز البوليس القريب من الميدان ،
نزل كوهين وسط حراسة ، وهو شاحب اللون وعيناه غائرتان ، مركز البوليس مكتظ بالحركة ،
جلس كوهين ، رئيس المحكمة التى حكمت عليه بالاعدام ، الكولونيل صلاح الدالى
يقترب منه ويسأله عما إذا كان لديه رغبة أخيرة ، طلب ورقة وقلم حبر ، وكتب رسالته
الأخيرة الى زوجته وأولاده...

ثم قيدت قدماه بشكل يسمح له بالسير ، كما قيدت يداه خلف ظهره ...

واقترب منه الكولونيل صلاح الدالى مرة ثانية وسأله : " هل لك شركاء
آخرون غير الذين ذكرتهم ؟ " فنظر اليه كوهين وهز رأسه ببطء وقال : " لا يا سيدى
الرئيس " وابتعد الكولونيل وخرج كوهين من مركز البوليس وسار إلى المشنقة
المنصوبة وسط الميدان .

كان الحاخام الأكبر فى إنتظاره ، رفع صلواته إلى الله بأن يجعل كوهين
من اليهود الأتقياء !

الكولونيل صلاح الدالى يسأله سؤالاً أخيراً : " هل لك نقود فى سوريا أو غيرها تريد أن تتركها لأى أحد ؟ " ـ " لم يعد عندى مال ، لم يعد عندى شئ ياسيدى الرئيس " !

وأصبح كوهين ملكاً للجلاد ... إنه يرتدى بدلة أنيقة وقميصاً بياقة مفتوحة ، ألبسوه من فوقهما جلباباً واسعاً أبيض ، ووضعوا عليه لافتة صغيرة تحمل هذه الكلمات : " الياهو كوهين ـ جاسوس اسرائيلى ـ محكوم عليه بالاعدام شنقاً "

وفى أثناء وضع الحبل حول عنقه ، إلتفت كوهين ورأى أمامه ، واقفاً ينظر إليه بإنتباه ، ونفس الحركة الخفيفة التى ترجف فى ركن فمه ، نفس الضابط الذى كان قد حضر الى شقته كان أمين ثابت فى صباح أحد الأيام ليقبض عليه ... وهو نفس الضابط الذى أعلن بعد ثمانين ثانية بأن ايلى كوهين قد مات ، كانت الساعة الثانية وخمس وثلاثين دقيقة ... فأطفئت الأنوار الكاشفة وبقيت الجثة معلقة حتى الساعة التاسعة .

بعد سقوط أمين الحافظ ، الذى طُرد من قصر الرئاسة تحت قصف المدافع والذى أصيب بجرح خطير ، فكرت الحكومة فى محاكمة الكولونيل صلاح الدالى ، كان القادة الجدد يتهمونه بأنه أخفى بعض معالم القضية وكانوا يرغبون فى إثارة قضية جديدة لفضح بعض أعدائهم من الحكومة السابقة ، الذين سقطوا معها ، وكانوا يأخذون على الكولونيل الدالى أنه أخفى أن زوجته الثانية ، وهى شابة إيطالية تعمل مضيفة جوية فى شركة الطيران السورية ، كانت تتولى حمل بريد ايلى كوهين وتسليمه

فى أوروبا ، وكانوا يتساءلون كيف نجح الكولونيل صلاح الدالى فى إخماد هذه الفضيحة !

كان راديو دمشق يرد على الحملة العالمية التى تهاجم سوريا فيقول : " إن ايلى كوهين ليس الجاسوس الإسرائيلى الوحيد الذى عمل فى البلاد العربية ، بل إن كثيرين مثله يعملون فيها والسلطات لا تتخذ اللازم للتخلص منهم " !

إن كان السوريون قد إعترضوا على عودة جثمان إيلى كوهين إلى إسرائيل ، فإنهم قد سمحوا بتسليم خطابه الأخير الذى كتبه الى زوجته قبل إعدامه ببضع دقائق ، كانت الرسالة محررة باللغة الفرنسية والعربية تحمل وداعه ووصيته الأخيرة !

لم يكن شئ ينبئ بأن ايلى كوهين « جاسوس دمشق » سوف يقوم بالدور الذى لعبه على المسرح العالمى ، ولد فى مصر بالاسكندرية ، وشب وسط إحدى هذه العائلات من البورجوازية الصغيرة اليهودية فى البلاد ، كان والده تاجراً ويقال أنه كان يحب التمتع بالحياة و لعب القمار ، وكان يتبارى فى لعبة " الطاولة " لساعات طويلة فى مقاهى الاسكندرية على الكورنيش ، كان الصبيان يلعبون أمامه على الرصيف الحجرى ويقذفون الطيور بالطوب ، ولكن مسيو كوهين (الأب) لم يكن يلتفت الى حركة الشارع ، من شدة إنهماكه فى اللعب ، ويقولون أيضا : أنه كان ـ إذا ما خسر ـ يصب غضبه على زوجته ويسيئ معاملتها ، تأثر الشاب إيلى من هذه المشاجرات بين والديه ، واعتاد الصمت حتى صار كتوماً عندما كبر ، وفيما بعد أصبح هذا الصمت أهم صفاته ..إن مقدرته على الإنطواء جعلت منه رغم أنفه هذا الرجل صاحب الإنتصارات الصامتة ، الذى لم يشتهر ولم تتسلط عليه الأنوار الساطعة إلا بمناسبة فشله وموته ...!

شهادة اللواء صلاح الدالى حول قضية كوهين :

لا زالت قضية " كوهين " تثير كثيراً من القصص والحكايات التى صاغت معظمها المخابرات الاسرائيلية فى إطار من الدعاية والتضليل السياسى والاعلامى ، بهدف إظهار جهاز " الموساد " وكأنه صاحب اليد الطويلة القادرة على اختراق جميع البلاد العربية ، والوصول الى مواقع القرار والاسرار ، ولكن عندما يروى الحقيقة أحد الرجال الذين ساهموا فى الكشف عنها وهو اللواء " صلاح الدالى " فإن الحديث يبدو أكثر تأثيراً ووضوحاً ، كاشفاً عن الكثير من الجوانب الغامضة فى هذة القضية التى لاتزال تشغل اهتمام الرأى العام :

بداية يفترض اللواء صلاح الدالي الضابط السوري المتقاعد ورئيس المحكمة العسكرية التي حكمت على كوهين بالإعدام، أن هذا الأخير قد يكون احد اليهود الذين عاشوا في مدينة دير الزور، شرق سوريا، مؤكداً وجود شبه وتشابه كبير جداً بين الجاسوس كوهين وبين تاجر يهودي سوري من دير الزور، كان يدعى (كرجي) ويمتلك محلا تجاريا لبيع الألبسة الجاهزة في الشارع العام وسط المدينة. وبالقرب من حلاق يدعى حمدي الخضر، كان المؤلف يحلق ذقنه وشعره عنده. ويضيف الدالي انه في عام ١٩٤٨ أثناء نكبة فلسطين، قامت مظاهرات في دير الزور، تستنكر المذابح التي قام بها اليهود و أثناء مرورها بالشارع العام وأمام محل التاجر (كرجي) قام المتظاهرون بتحطيم واجهة محله الأمر الذي دفعه إلى مغادرة المدينة إلى جهة مجهولة خوفا مما قد يحدث له من غضب الجمهور.

ويؤكد ان صورة كرجي، ظلت ماثلة في ذاكرته و عندما القي القبض على الجاسوس كوهين، ووقع نظر الضللي عليه، شعر بأن كرجي أمامه وبادره بالسؤال عن صلة القربى بينه (كوهين) وبين المدعو كرجي، مشيرا إلى أن كوهين دهش لطرح السؤال وأحس انه ، اكتشف حقيقته، فارتعد وارتعش، لان اسم كرجي متداول بين اليهود. ويضيف ان لليهودي الشرقي صفات معينة في الوجه والأنف وانحناء الظهر، وهي كلها كانت تنطبق على الجاسوس كوهين. ومنها أن كوهين كان على درجة كبيرة من البخل الذي وصل إلى حد التقتير على نفسه، وذلك بخلاف كل المعلومات التي نشرت عنه سابقا، والتي ادعت بأنه كان يبذخ كثيرا وينفق المال على أقامة الحفلات والموائد في دمشق.

والدالى يؤكد أن ذلك كله مجرد كذب وافتراء حيث يقول أن كوهين لم يقم بأي حفلة على الأطلاق وان الدعوات كانت تأتيه من الآخرين طمعا بالتعرف عليه كونه ثري ومغترب وتاجر وله مشاريع تجارية كثيرة في بلاد الله الواسعة. فقد قدم إلى سوريا على انه مغترب من الأرجنتين باسم كامل ثابت أمين ويضيف المؤلف إن الجميع كانوا يريدون أن يزوجوه طمعا في ماله. ولهذا لم تنقطع الدعوات للغداء أو العشاء أو السهرات أو أكلات التبولة.

وانه لم يسبق أن دعا أي شخص إلى بيته سوى معزى زهر الدين، وكان معزي يقدمه لكوهين أثناء حضوره إلى مدينة أدلب لزيارته. ويؤكد الدالي إن الأعلام العربي والصهيوني هو الذي رسم صورة غير حقيقية عن بذخ كوهين، وذلك حتى يوهم الرأي العام العربي والعالمي بأن هذا الجاسوس استخدم المال من أجل تحقيق الاختراق للمجتمع السوري! و يرد الدالى على الكثير من الافتراءات والأضاليل التي حاولت المصادر الصهيونية ترويجها عن كوهين والدور الذي قام به أثناء وجوده في سوريا. ويتوقف بصورة خاصة عندما ورد في كتاب "الجاسوسية الإسرائيلية وحرب الأيام الستة" حيث جاء فيه أن كوهين خطط لانقلاب ٨ مارس الذي أوصل حزب البعث إلى السلطة، وساهم في وضع قرارات التأمين وانه انتخب عضوا في القيادة القطرية وكذلك القومية لحزب البعث ورشح وزيرا للأعلام ونائبا لوزير الدفاع وأنه هو الذي أحبط محادثات الوحدة الثلاثية وتوسط بين الرئيس أمين الحافظ وتجار دمشق، وهو الذي أعاد صلاح البيطار إلى رئاسة الوزارة من الأردن إلى سوريا، وضرب مدينة حماة، وخطط لضرب مشروع تحويل نهر الأردن، ويؤكد الدالى أن ما ورد في محاضر محاكمة كوهين يدحض كل هذه الأكاذيب موضحا أن جواز سفر كوهين لم يتم العثور فيه على تأشيرة لدخول الأردن، كما يدعي مؤلف كتاب "الجاسوسية الإسرائيلية وحرب الأيام الستة" ويكشف كوهين أمام المحكمة انه لم يسافر إلى الأردن، وبالتالي لم يكن له اي دور في أعادة البيطار إلى سوريا، كما ينفي المؤلف أن يكون كوهين، تعرف على أمين الحافظ أثناء وجوده في الأرجنتين، مؤكدا أن أمين الحافظ سافر إلى الأرجنتين ووصل إليها ليلة رأس السنة لعام ١٩٦٢، كما هو ثابت في جواز سفره، وانه قضى تلك الليلة في الفندق وحيدا، في الوقت الذي كان فيه كوهين على ظهر الباخرة من نابولي إلى الإسكندرية، ومن ثم إلى بيروت، حيث وصل إليها يوم ١٩٦٢/١١/٨ وأمضى يومين في

بيروت، سافر بعدها مع مجيد شيخ الأرض العميل السري لوكالة المخابرات
المركزية الأميركية إلى دمشق يوم ١٩٦٢/١/١٠ معتبراً ان ذلك ينفي كل ادعاء بأن كوهين تعرف على أمين الحافظ في الأرجنتين، ويضيف أن من بين
كل الشخصيات التي تعرف عليها كوهين أثناء وجوده في سوريا لم يكن هناك اي واحد ممن هو قيادي أو وزير أو ذو مرتبة عالية في الدولة بل كلهم من
التجار والناس العاديين! موضحاً أن هناك ثلاثة أشخاص ساندوه، وهم: مجيد شيخ الأرض "عميل المخابرات المركزية" ومعزى زهر الدين ابن شقيقة
رئيس الأركان أنذاك وجورج سيف مدير الدعاية والأنباء في تلك الفترة. ويؤكد اللواء الدالي أن الموساد الصهيوني، هو الذي أراد هذا المصير
للجاسوس كوهين بالموت شنقاً في دمشق، موضحاً أن الكيان الصهيوني الذي لم يكن جاداً في إنقاذه و كان قادراً على ذلك لو انه استخدم الامكانات التي
كانت متاحة لديه آنذاك بالرغم من الضجة الإعلامية والسياسية والدبلوماسية التي أثارتها بعد القبض عليه ومحاكمته، والحكم عليه بالإعدام، ويكشف
المؤلف موشتي دايان انه طلب من الملكة إليزابيث الأم التي كانت تزور بلجيكا لكي تتدخل لإنقاذ إيلي الذي كان بمقدوره الضغط على الموساد التي
استطاعت خطف أنجمان من الأرجنتين التي تبعد الاف الكيلو مترات عن فلسطين، باعداد خطة لاختطاف رئيس المحكمة العسكرية السورية أنذاك، وهو
المؤلف اللواء صلاح الدين ضللي أثناء زيارته للأردن خلال الفترة من ١٩ - ٢٠ مارس ١٩٦٥، وذلك قبل أيام من صدور الحكم ضد كوهين، وهو لا
يبعد سوى عشرات الأمتار من الحدود مع الأردن، ويضيف أن الزيارة استمرت لمدة عشرة أيام.وهي شملت مدينة قلقيلية والقدس الشرقية وبوابة
"مندلبوم" التي يمر منها كوهين إلى الأردن ومن ثم سوريا وان الكثير من أصحاب المحلات التجارية تعرفوا عليه أي رئيس المحمكة العسكرية السورية
مؤكداً أنه امضى عشرة أيام في الأردن والضفة الغربية، وكان بمقدور جهاز الموساد أن يقوم باختطافه شخصياً، والمساومة عليه لإطلاق سراح كوهين،
ولكن هذا لم يحدث بالرغم من أن إسرائيل كانت تتعقب زيارة الوفد السوري لحظة بلحظة، وهو يؤكد أنه كان باستطاعة الموساد إنقاذ حياة كوهين ولكنه
لم يفعل بالرغم من أن رئيس الموساد قد ابلغ كوهين قبل سفره إلى سوريا بأنه إذا حدث له شيء "نهاجم دمشق وننقذك". وبالفعل فقد اكتشف كوهين،
وهو في السجن انه خدع من قبل رؤسائه بالموساد أن إسرائيل لم تفعل شيئاً لإنقاذه ربما لأنه كان من اليهود الشرقيين، حيث أن التمييز العنصري على
أشده!

ويميط اللواء الدالي اللثام عن حقيقة المهمة التي أوفد كوهين لأجلها إلى سوريا في البداية، وهي لم تكن بقصد التجسس وجمع المعلومات عن
سوريا، بل من اجل البحث عن مساعد الضابط النازي أنجمان، الذي تم اختطافه من الأرجنتين إلى إسرائيل، فقد كان مساعده هو لويس برونر الذي
توفرت لدى المخابرات الصهيونية ـ الموساد ـ معلومات انه موجود في دمشق، وهي طلبت من كوهين تعقبه والعثور عليه بأي ثمن. وأمضى الجاسوس
الصهيوني قرابة الستة اشهر وهو يبحث في دمشق عن برونر او شبيه له ولكن دون جدوى. وبعد عودته إلى فلسطين المحتلة، حيث تم تعليق مهمته من
قبل ـ الموساد ـ عرض كوهين على المخابرات الصهيونية ان تعيده مرة أخرى إلى دمشق بعد ان كون شبكة من العلاقات مع تجار ومسؤولين وبالتالي
صار وجوده في سوريا امراً مفيداً للموساد! وبسبب هذا الإلحاح أعيد كوهين إلى سوريا حتى لقي مصيره. أما الأمر المهم الأخر الذي يؤكده المؤلف،
فهو تأكيده انه ليس للقاهرة أي علاقة بموضوع المساهمة في الكشف عن إيلي كوهين، موضحاً أن الحكومة السورية ارسلت كتابا رسميا إلى الحكومة
المصرية تسالها عن هذا الموضوع الذي تم نشره في الصحف، فارسلت الحكومة المصرية كتاباً تنفي فيه نفياً قاطعا هذه المعلومات، مؤكدة انه ليس لديها
أي معلومة بهذا الخصوص.ويضيف انه تبين أخيرا أن هذا الموضوع ملفق تلفيقاً من عبد الهادي البكار وغسان كنفاني حيث نشر اعترافهما بإحدى
الصحف اللبنانية، الأمر الذي يؤكد أنه لا علاقة للمخابرات المصرية في الكشف عن كوهين. ومن النقاط الأخرى التي يثيرها الكتاب نفيه لكل الاتهامات
التي وجهت إلى سليم حاطوم حول علاقته بكوهين، مشيراً إلى انه كان عضوا في المحكمة العسكرية التي حاكمته. ويقر الكتاب انه تم الكشف عن
كوهين، بعد شكوى تقدمت بها السفارة الهندية بدمشق، من أن الوقت الذي يبث فيه لاسلكيا، يتعرض للتشويش، تمت محاصرة المنطقة وفاجأت
المخابرات السورية كوهين في شقته، وألقت القبض عليه، ومن ثم أودع السجن وطويت الأسطورة!

وبعد ... ليس من عادة أجهزة الاستخبارات أن تجعل مـــن عملائها أبطالاً أو " وحوشاً مقدسة " !.. فأكثر العملاء السريين نجاحاً وفاعلية هـــم الذين يعيشون ويموتون مجهولين ، والجواسيس الذيـــن حفظت أسمائهـــم ذاكرة التاريخ ونشرت حكايات إنتصاراتهم الصامته ، لـــم يبرزوا الى الشهرة إلا بفعـــل الظروف ، ويكونون فـــى عداد الموتى !

ومعلوم للعالم أجمع أن الكيان الصهيونى قام على " الارهاب " وظل يمارس " ارهاب الدولة " حتـى يومنا هذا .. وكيان دولة العصابات يستخدم مخابراته فى سياسته وأعماله الارهابية بما فيها الاغتيالات !

و اذا كانت الاستخبارات الاسرائيلية تتباهـــى بايلـــى كوهين وتعتبره " نجم الموساد " !.. فـــإن الاستخبارات المصرية حققت عشرات من " الانتصارات الصامته " مخترقة الجدار الأمنى الاسرائيلى " الوهمى " وكان نجاح المخابرات المصرية ـ بلا شك ـ محصلة عرق و دم وتضحيات لا حصر لها ، فى فترة عصيبة كـــان ابرز سماتها : غياب الوعى العام الصحيح بقضايا الأمن القومى .. والأعمال البطولية التـــى قامت بها المخابرات المصرية لم تقتصر فقط على اختراق المجتمع الاسرائيلى ، وإنما أيضاً فى اقتناص عملاء اسرائيل .. وقـــد تحدثنا فى ايجاز عن بعض هذه الانجازات ، والتى لم يكن أعظمها : تصوير " خط بارليف " من السويس إلـــى بورسعيد بأدق التفاصيل الميدانية وحتى عمق عشرة كيلو مترات وتقديم هذه الصور الـــى كافة التشكيلات الميدانية بطول المواجهه ، وكل ما سبق حرب اكتوبر ١٩٧٣ كان جبلاً من الاسرار المغلقة والمركبة ، و مع ذلك فشلت مخابرات " عدونا التاريخى " وأجهزة المخابرات العالمية فى توقع هذه الحرب .. لقد تحقق لرجال المخابـــرات المصريـــة والسورية النصر فـــى حربهم السرية ، فكانت حرب اكتوبر أعظـــم أمجاد العرب فـــى العصر الحديث وإن كان السياسيون قد أضاعوا ما حققه العسكريون !